مجلة شهرية

Issue No. 198 عدد
February 2024 شهر شباط

نـــــــور يسوع المسيح المســـيـــح
ΧΡΙΣΤΟΥ العالم ΦΩΣ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

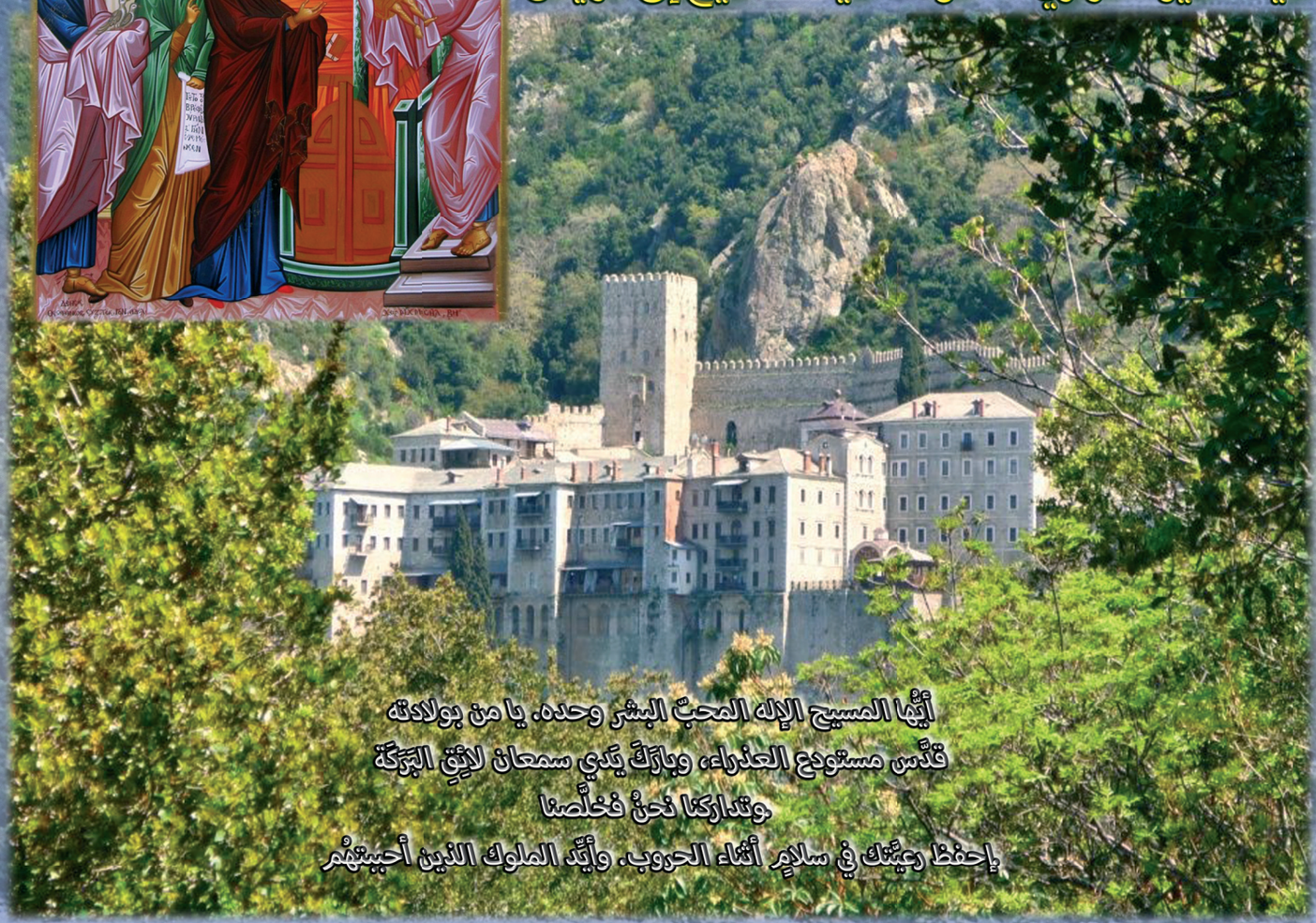
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org



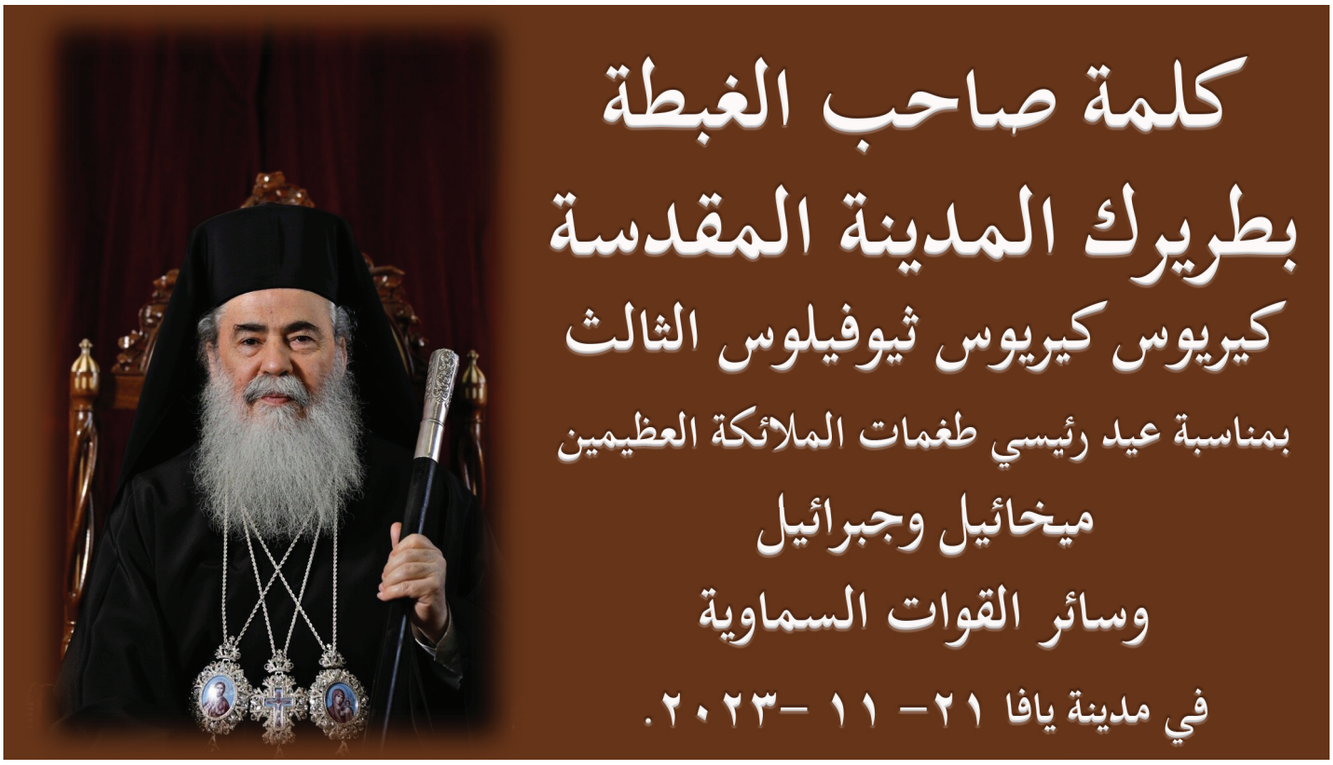


دير القديس يافلوس للروم الأرثوذكس جبل آثوس - اليونان

عيد الدير المركزي: دخول السيِّد المسيح إلى الهيكل



أيُّها المسيح الإله المحبّ البشر وحده. يا من بولادته
قدَّس مستودع العذراء، وبارَكَ يَدَي سمعان لائِقِ البَرَكَة
وتدارَكنا نحنُ فخلَّصنا
إحفظ رعيَّتك في سلامٍ أثناء الحروب، وأيِّد الملوك الذين أحببتهُم



يَقُول مُرنَم الكنيسة: « يَا رَئِيسَيْ قُوَّاد جُنُود الله وَخادِمي المَجْد الإلَهِيِّ وَمرشِدي البشر، وزعيمي العديمي الأجْساد، أُطْلُبا لَنَا عظيم الرَّحْمَةِ ومَا يُوافقنَا، بِمَا أَنكُما رئيسَا قُوَّاد جُنُودِ العَدِيمي الأجْساد.»

أَيهَا الإخْوة المحْبوبون فِي اَلمسِيح،

أَيهَا المسيحيُّون والزُّوَّار الأتْقياء،

إنَّ نِعْمَة **الرُّوح اَلقُدُس** قد جَمَعتنَا كُلَّنَا اليوْم فِي هَذِه الكنيسة المقدَّسة المسمَّاة على اَسْم **رَئِيسَي الملائكة مِيخائيل وجبْرائيل** فِي مدينتكم التَّاريخيَّة المقدَّسة يَافَا، لِكيْ نُعيِّد لَهُم ولسائر اَلقُوات العديمي الأجْساد والطُّغْمات السَّماويَّة فِي عِيدهم الحافل.

إنَّ **الملائكة** جميعًا بِحَسب القدِّيس الرَّسول بُولُس هُم جميعهم « أَرْواحًا خَادِمة مُرسَلَة لِلْخدْمة لِأَجل العتيدِيْنَ أنْ يَرِثُوا الخلَاص» (عِبْرانيِّين ١ : ١٤) وبتعْبير أدقّ، إنَّ جميع **الملائكة** هُم أَرْوَاح خَادِمة لا يتصرَّفون مِن تِلقاء أَنفسِهم بل يُرْسلهم **الله** لِخِدْمة أُولئك الَّذين سيرثون الحيَاة الأبديَّة.

ويدعو صَاحِب المزْمور جميع **الملائكة** أن يُسَبِّحوا **الله** قائلًا: «باركوا اَلرَّب يَا ملائكتهِ المقْتدرين بقُوَّةٍ، الفاعلين أَمرَهُ عِنْد سَمَاع صَوْت كَلامِه.» (مز١٠٢: ٢٠)، وبعبارةٍ أُخرى، إنَّ جميع الملائكة مَدعُوُّون لتسْبِحَة وَتمجِيد خَالِق جميع البرايَا لِأَنَّهم مُقْتدرونَ بِالْقوَّة وطائعون لِلصَّوْتِ الإلَهِيِّ لِتنْفِيذ أَوامِر وَوَصايَا **الله** برِغْبةٍ عِنْد سَمَاع صَوْت كَلامِه.

وَبِحسَب **القدِّيس يُوحنَّا الدِّمشْقي**: فَإِنَّ **الملائكة** قد خُلقوا جميعًا **بِالْكلمة** وتكَمَّلوا **بِالرُّوح اَلقُدس**، فحصلوا على الاسْتنارةِ والنِّعْمة طِبْقًا لِمكانتهم ورتْبتهم.

وَأَمَّا بِالنِّسْبة لِطبيعة **الملائكة** فَإِن **القدِّيس يُوحنَّا الدِّمشْقي** يُعلِّم قائلًا: « وَمِن ثمَّ إِنَّ المَلَاك جَوهَر عقْلانِيّ، دَائِمُ الحرَكة، مُطلَق اَلحُريَّة، لا جِسْم لَه، يَخدِم **الله** ويتمَتَّع فِي طبيعَتِهِ بِنعْمةِ اَلخُلود. أَمَّا نَوْع جَوهَرِه وتحْديدِهِ فلَا يعْرفهَا إِلَّا الخالق وَحدَهُ. ويقال فِيه بِأَنَّهُ لَا جِسْمِيٌّ ولَا مادِّيٌّ، وَذلِك بِالنِّسْبة إِلَيْنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْء بِالْمقابلة مع **الله** — اَلذِي هُو وَحدَه لَيْس مِن يُضاهِيه — يَبدُو كثيفًا ومادِّيًّا. وبالْحقيقة إِن اللَّاهوتَ وَحدَه مُنزَّه عن المادَّة وَالجِسم.»

وَمِنَ اللَّافتِ لِلنَّظرِ أنَّ اِحتِفال اليوْم يَرتَبِط اِرْتباطًا وثيقًا بِرئيس صافَّات اَلقُوات غيْر المتجسِّمة **رئيسِ الملائكة مِيخائيل** وَحدَث **سُقُوط لُوسْفِير كَوكَب الصُّبْح أَي الشَّيْطان**، فَكمَا يَقُول **القدِّيس يُوحنَّا الدِّمشْقي** أنَّ **لُوسْفِير أَي الشَّيْطان** قد حادَ بِمطْلق حُرِّيَّته عَمَّا هُو مِن طبيعَتِهِ إِلى مَا هُو خَارِجٌ عن طبيعَتِهِ، فانْتَصب نُجَاه **الله** صانعهُ مُريدًا أنْ يُقَاومَه، فأصْبح أَوَّلَ مُنْتَقِلٍ **مِن الخيْرِ إِلى اَلشَّر**. والشَّرُّ ما هُو إِلَّا فُقْدَان الخيْر، كمَا أنَّ الظَّلَام هُو أيْضًا فُقْدَان النُّور. وَعلَى هذَا النَّحْو فالْخَيْر نُور عقْلانِيٌّ والشَّرُّ ظَلَام عقْلانِيٌّ. وقد كَان الشَّياطين مع الملائكة وَمِن طبيعتهم نفْسهَا فصاروا أشْرارًا لِأَنَّهم حَادُوا عن الخيْر إِلى اَلشَّر بِمطْلق حُرِّيَّتِهم.

يَقُول **اَلمسِيح** فِي إِنْجيل لُوقَا. «رأيْتُ الشَّيْطان ساقطًا مِثْل البرْق مِن السَّمَاء.» (لو١٠: ١٨) هَذِه كانت الرِّدَّة، أيُّ **سُقُوط لُوسْفِير كَوكَب الصُّبْح أَي الشَّيْطان** بِالْإضافة إِلى عددٍ كبيرٍ آخر مِن الملائكة مِن رُتبَةِ رُؤَساء الملائكة، لهذا فعنْدَمَا رأى **رئيس قُوَّاد اَلجُنود مِيخائيل** هذا، قام بِجَمع طُغمات الملائكة وَقَال لَهُم: لِنصْغ، لِنَقف حسنًا، فسبَّحتِ **الله** جميع اَلقُوات السَّماويَّة بِصَوت وَاحِد: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، ربُّ الصَّباؤوتْ. السَّمَاء والْأَرْض مملوءتان مِن مَجدِك. إِنَّ هذَا العمل اَلذِي يَقُوم فِيه **رئيس الملائكة مِيخائيل** يُؤَكِّدُهُ بِوضوح مُرنِمُ الكنيسة قائلًا: « لَقد جَعلَك الإله الخالق يَا رئيس اَلجُنود الإلَهِيَّ نصيرًا لِجِنْس البشر ومُسيْطرًا عَليهِم مُمْتازًا فِي إِمْدادهم، وَأَكرمَك بِمَجد يَتعذَّر وَصفُه حَتَّى لَا تملَّ مِن التَّرنيم لَه بِتسْبيحَةِ الظَّفر الثُّلاثيَّة التَّقْديس الإلهِيَّة.»

وَبِحسَب شَهادَة **القدِّيس يُوحنَّا الدِّمشْقي** يَقُول: «**الله** نَفسُه صَانِع الملائكة وبارئهم ومخْرجهم مِن العدم إِلى الوُجود. وقد خلقهم على صُورته الخاصَّة، طَبِيعَةٌ لَا جِسْميَّة على مِثَال رِيح مَا وَنَارٍ لَا مادِّيَّة، كمَا يَقُول **دَاوُد الإِلَهِيَّ**:«الصَّانع ملائكته أَرْواحًا وخدَّامه لَهيب نارٍ» (مَزمُور١٠٣: ٤) بِهَذا تحْديدًا، إِذْ إِنَّهم أَروَاح خَادِمة ولهيب نارٍ، تَتَميَّز ملائكة الكنيسة السَّماويون عن قِدِّيسي الكنيسةِ الأَرْضِيِّين.»

وبحسبَ **القديسِ غريغوريوسْ اللاهوتيَ** فإنَ الملائكةَ تستمدُ إنارتها مِنَ النُّورِ الأولِ أيْ أنهمْ منيرون، لأنهمْ يستنيرونَ منْ النورِ غيرِ المحدودِ، غيرَ المدركِ الذي لا يُسْبَرُ غورهُ، لهذا السببِ يظهرونَ في الكتابِ المقدسِ كمساعدينَ في العملِ الخلاصي لمخلصنا **المسيح** «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ» (يو١: ٥١). كما يكرز القديس يوحنَّا اللاهوتي، والملائكة تعتني بحمايةِ الناس.

«اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ١٨ : ١٠) كما يوصي **الرَّبّ**. والملائكةُ أيضًا تُقدِّمُ صلوات القديسين إلى **الله**، الملائكةُ تحملُ أرواحَ الأبرارِ إلى ملكوت **الله** «فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ» (لو١٦: ٢٢)،الملائكة بقيادةِ **رئيسُ الملائكة ميخائيل** يُحاربونَ للدفاعِ عَن الكنيسة ضدَّ **الشَّيْطان** الذي يُحارِبُها؛ وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: «مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ» (رؤ١٢: ٧) كما يذكر القديس يوحنَّا اللاهوتي، ويشير الرسول يهوذا في رسالته الجامعة قائلًا: «وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: «لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ!» (يهوذا ١: ٩).

الملائكة هُم الَّذين يَصِلُون العالَم السَّماويَّ بِالعالَم الأَرْضِيِّ، الكنيسة المنْتصرة مع الكنيسة المجاهدة مِن خِلَال عِبادة **الله** فِي تَسبِيح وَتمجِيد مُتَواصِل لَا يَتَوقَّف. وَلَا تَزَالُ (الملائكة) نَهَارًا وَلَيْلًا ترنِّم بخوفٍ وخشوعٍ:: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي» كما يقول القديس يوحنَّا اللاهوتي (رؤ ٤: ٨)، وأيضًا كما يقول الإنجيلي لوقا البشير عند حدث **ميلاد المسيح**): «وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِين: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي الناس الْمَسَرَّة». (لوقا٢: ١٣-١٤)، وَهَا هُوَ اَلسَّبَبُ لِمَاذَا كَنِيسَتُنَا اَلْمُقَدَّسَةُ تَقَدِّمُ اَلْإِكْرَامَ اَلْوَاجِبَ لِلْمَلَائِكَةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ **وَلِرُؤَسَاء اَلْمَلَائِكَةِ مِيخَائِيلْ وَجِبْرَائِيلْ** بِشَكْلٍ خَاصّ. فَإِنَّ اَلْقِدِّيسِينَ وَأَبْرَارَ كَنِيسَةِ **المسيح** اَلَّذِينَ عَاشُوا فِي اَلْعَالَمِ وَكَانُوا لَابِسِينَ جَسَدًا قَدْ ظَهَرُوا مُتَمَثِّلِينَ وَمُقْتَدِين بِالْمَلَائِكَةِ صَائِرِينَ مِنْ خِلَالِ صَلَوَاتِهِمْ اَلدَّائِمَةِ وَنُسُكِهِمْ، أُنَاسًا سَمَاوِيِّيْنَ وَمَلَائِكَةً أَرْضِيِّيْنَ. كما ترتل الكنيسة في أعياد القديسين، ومنهم على سبيل المثال: **القديس إيليا النبيّ: إنَّ الملاك المتجسّد. قاعدة الانبياءِ وركنهم. والسابق الثاني لحضور المسيح. ايليا المجيد بإرساله النعمة لاليشاع من العلاء اصبح يطرد الامراض ويطهّر البُرص، ومن ثمَّ فهو يفيض الأَشفية لمكرميه.** وكذلك **القديس النبيّ يوحنا المعمدان، والقديس أنطونيوس الكبير، والقديس جراسيموس** الذي كان في الأردن: **لقد ظهرتَ متوطِّن البريَّة، وملاكًا في الجسد، وصانعًا للعجائب يا أبانا المتوشِّح بالله جراسيموس، واقتبلتَ المواهب السماويَّة بالصَّوم والسَّهَر والصلاة. فأنتَ تشفي المرضى، ونفوس الذين يلتجئون اليكَ عن إيمان. فالمجدُ للذي أعطاكَ القوَّة. المجدُ للذي تَوَّجَكَ. المجدُ للذي يمنح بِكَ الأشفية للجميع.**

ومعَ الُمرتِّم نَهتِفُ ونقول: «لَقَدْ أَقَامَكَ **الله** مُتَقَدِّمًا عَلَى اَلسَّلَاطِينَ وَالْقُوَّاتِ وَرُؤَسَاء اَلْمَلَائِكَةِ وَالرَّبُوبِيَّات وَالْكَرَاسِيِّ وَالرِّئَاسَاتِ يَا رَئِيسَ اَلْجُنُودِ اَلْإِلَهِيِّ مِيخَائِيلْ اَلْفَائِقِ اَلْمَجْدِ فَفِيمَا أَنْتَ مَاثِلٌ لَدَى اَلْعَرْشِ اَلَّذِي لَا يُطَاقُ اَلدُّنُوّ مِنْهُ، صُنْ وَاحْرُسْ وَاحْفَظْ وَخَلِّصْ جَمِيعُ اَلَّذِينَ يَحْتَفِلُونَ بِكَ عَنْ إِيمَانٍ يَا حِمَايَةَ اَلْعَالَمِ».

وَنَحْنُ اَلْمُعَيِّدُونَ لِتِذْكَارِكُمْ اَلْمُوَقَّر، بَشِّرُونَا بِالسَّلَامِ، **بِشَفَاعَاتِ وَالِدَةِ اَلْإِلَهِ اَلْفَائِقَةِ اَلْبَرَكَاتِ اَلْمَجِيدَةِ** فِي هَذِهِ اَلْأَرْضِ اَلْمُقَدَّسَةِ اَلْمُمْتَحَنَةِ بِأَنْوَاعِ اَلتَّجَارِبِ، آمين.



الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

إفخارِسْتُس العلماني

تضَرَّع اثنان من الأخوة الشُّيوخ إلى **اللهِ**، وسَأَلاهُ: أنْ يُبَيِّن لهما إلى أيِّ مدى وصلوا في معارج الصوم والنُسك والصَلاة. فجاءَهُما صوتٌ يقول: «في القرية الفلانيّة من قُرى مِصرَ ثمَّة علمانيّ يُدعى **إفخارِسْتُس**، واسم امرأته **مريم**، وإنَّكُما لم تَبْلُغا حتى الآن قَدْرَهُما». فانطلَقَ الشيخان وقَصَدا القرية، واستعلما عن الرَجُل فوجدا صومعته وزوجته، وقالا للمرأة: «أينَ زوجك؟» فأجابت: «إنَّهُ راعٍ يرعى النعاج». وأدخلتهما إلى صومعته. ولمَّا حَلَّ المَساء، عادَ **إفخارِسْتُس** مع نِعاجِهِ، وإذ رأى الشَّيخين، هَيَّأَ لهما المائدة وأتى بماءٍ ليغسل أرجلهما. أمَّا الشيخان فقالا له: «لن نأكل شيئًا ما لم تُبيِّن لنا طريقة عَيْشِك».

فأجابَ **إفخارِسْتُس** بتواضع: «إنِّي راعٍ، وهذه إمرأتي». إلَّا أنَّ الشَّيخين ألَحَّا في الطَلَبِ، وهو لا يزالُ يرفض أنْ يقول أكثر من ذلك. عندئذٍ قالا له: «لقد أرسَلنا الله إليك». فما إنْ سَمِعَ **إفخارِسْتُس** هذا الكلام حتى تملَّكه الذُعر وقال لهما: «أُنظُرا إلى هذه النِعاج. لقد ورثناها من والدينا، وإنْ ربحنا منها بعض الشيء بنعمته تعالى، فإنَّنا نُقَسِّمَهُ ثلاثة أقسام: **واحدٌ للفقراء، واحدٌ للضيافة والثالث لحاجاتنا الشخصيَّة.** ومنذُ أنْ تزوجتُ لم نُقِم أنا وزوجتي أيَّ علاقة، فهي عذراء. وكلٌّ مِنَّا ينام من جهته. وفي الليل نرتدي المسوح، وفي النهار ثيابنا. وحتى الساعة لم يَدرِ بذلك أحدٌ». ولمَّا سَمِعَ الشَّيخان هذا الكلام، أَخَذَ منهما العَجَب كُلَّ مأخذ، وانصرفا وهما يمجِّدان **الله**.



التأسيس: نهاية القرن العاشر

المؤسس: القديس پاڤلوس اكسيروبوتاميتيس

يحتفل: ٢ فبراير شرقي، دخول السيِّد المسيح الى الهيكل

المكتبة: ٤٩٤ مخطوطة، و ١٢٥٠٠ كتاب

دير القديس پاڤلوس (هو دير روميٌّ يونانيٌّ، دير جماعي، يحتفل به في عيد دخول السيّد المسيح الى الهيكل في ٢ فبراير شرقي).

من كنوز الدير المميّزة: **هدايا المجوس ال ٢٨ من ذهب ولبان ومُرّ**.

يتواجد **الدير المقدَّس**، في منطقة خلكيذيكي شمال شرق اليونان، على الساحل الجنوبي الغربي، في أقصى الأصبع الثالث من بين الأصابع الثلاثة (**المدعو جبل آثوس**)، بالقرب من **دير ديونيسيو**، على بعد ٣٠ دقيقة من الشاطئ، وعند **سفح جبلِ آثوس** (٢٠٣٠م) ، يتواجد الدير على ارتفاع ١٨٠م عن سطح البحر.

وبحسب التقليد، فإن الدير قد أسَّسَهُ **القديس بولس كسيروبوتاميتيس**، حسب المرسوم الذي يحمل ختمًا ذهبيًّا على الشريط الحريري المصاحب له، والذي يؤكِّد صحة المرسوم، وهو **للإمبراطور ميخائيل باليولوچو**، الذي تمَّ الحفاظ عليه، يذكر أنَّ الدير تأسَّس تكريمًا **للمسيح المخلِّص**.

على الأرجح أنَّ الدير تأسَّس في الأصل في نهاية القرن العاشر وبقي في الخدمة الرهبانيَّة حتى القرن الرابع عشر عندما **دمره القراصنة**.

في نهاية القرن الرابع عشر، تم نقل الدير المدمر إلى **دير كسيروبوتامو** (وهو بالقرب من ميناء دفني في **جبل آثوس**) ، حيث تولَّى الأخوان **رادونيوس وباجاسيس** إعادة بنائه وتشغيله.

في ترتيب تسلسل الأديرة الذي كان موجودًا على **جبل آثوس**، احتل الدير المركز الثامن عشر من بين الاديرة الخمسة والعشرين المذكورة (اليوم يُوجَدُ في جبل آثوس عشرون ديرًا) .

في القرن الخامس عشر، تلقَّى الدير تبرعات من **الحكَّام الصِّرب**، وخاصة من **الحاكم جوارجيوس فرانكوفيتش**، الذي رمَّم الدير وبنى كاثوليكون أكبر حجمًا (**أي كنيسة كبيرة واسعة**) باسم **أَجيوس جورجيوس** (القديس جوارجيوس). – ﴿ومن الجدير بالذكر أنَّ ابنة هذا الحاكم المدعوَّة **الأميرة مارو** هي التي جلبت **هدايا المجوس** من القسطنطينيّة، قُبيل سقوطها، إلى **جبل آثوس** ، وحسب ما ينصّه التاريخ المقدَّس﴾ – ؛ ومع تراجع الصليبيين ودحرهم بقيادة **الإمبراطور ميخائيل باليولوچو**، تمَّ إعادة هدايا المجوس من بيثينا إلى القسطنطينية حتى سقوطها على يد الأتراك في ٢٩ أيَّار ١٤٥٣م.

فقامت **الأميرة مارو**، الزَّوجة المسيحيَّة **للسلطان مراد الثاني** (**١٤٢١–١٤٥١**) ووالدة أبي محمد الثاني (الفاتح / المحتلّ) ، بحملهما بنفسها **هدايا المجوس** إلى **دير القديس پاڤلوس المقدس** في **جبل آثوس**.

وقد عرفت هذا الدير منذ أنْ بنى والدها **جوارجيوس فرانكوفيتش**، **حاكم صربيا**، كاثوليكون تكريمًا **للقديس العظيم الشهيد جوارجيوس اللابس حلّة الظفر**. كما ذُكِرَ آنفًا.

بحسب التقليد الآثوسي، عندما صعدت مارو من الميناء، منعتها **والدة الإله العذراء** بطريقة خارقة للطبيعة من الاقتراب من الدير، لأنَّ الأميرة مارو انتهكت بذلك **أفاتون / مرسوم جبل آثوس. (منذ عام ٥٣٩م تمَّ تشكيل (أفاتون) مرسوم خاص لجبل آثوس يحمل قوانين صارمة، ومن أهمها يُحظَر دخول النساء إلى الجبل المقدّس)**.

وفعلًا أطاعت مارو أوامر العذراء، وسلمت بتواضعٍ الهدايا المقدسة للرهبان والآباء الذين أقاموا صليبًا عند مكان حضور والدة الإله، وهو محفوظ إلى يومنا هذا ويسمى «صليب الملكة».

وثيقة السلطان التي تحتوي على المعلومات ذات الصلة بشأن تسليم الهدايا المقدسة محفوظة في أرشيف دير القديس پاڤلوس.

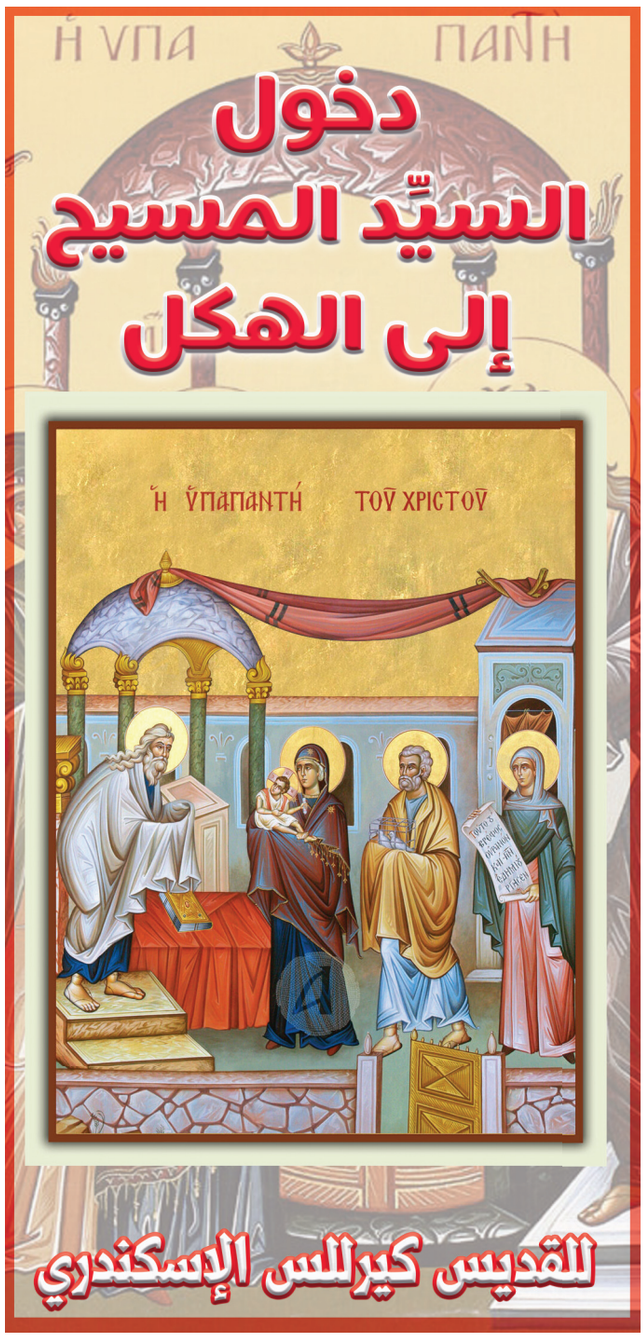
خلال القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، يبدو أنَّ رهبان

الصِّرب واليونانيين كانوا يعيشون معًا في الدير بمحبَّة ووفاق وانسجام، ولكن في بداية القرن الثامن عشر لم يعد هناك سلافيون وأصبح الدير يونانيًا بحتًا. وجد الدير نفسه في وضع مالي حرج في القرن الثامن عشر، مما أدى إلى فقدان العديد من ممتلكاته. لقد خرج الدير من هذا الوضع الصعب في نهاية نفس القرن ، بفضل حارسها النشط غريغوريوس. في بداية القرن التاسع عشر، أعاد الأرشمندريت انثيموس كومنينوس من سيليفريا بناءَ أجزاء من الأجنحة وبدأ في إعادة بناء الكاثوليكون. وفي سنوات الثورة اليونانيَّة، ابتعد الرهبان عن الدير طلبًا للأمان، والتي استقر فيها رهبان **نيا سكيتي** المجاور لدير القديس پاڤلوس. وفي عام ١٨٣٩ تم تحويله إلى دير بختم البطريرك غريغوريوس السادس. في عام ١٩٠٢، تم تدمير جزء كبير من الدير، وفي بدايات القرن نفسه أيضًا تمَّ تدميره بشكل أكبر. ولم تعد الأراضي المزروعة من الدير حتى شاطىء البحر صالحة للزراعة. وترجع هذه الحقيقة إلى الحجارة التي أسقطها التيار المجاور بسبب الأمطار الغزيرة. (بين الدير وشاطىء البحر هناك وادٍ كبير وواسع ومنحدر، لأنَّ الدير موجود في منحدرات أعلى جبل في آثوس). تمَّ بناء الكاثوليكون من عام ١٨١٧ إلى عام ١٨٤٥، ولم يتمَّ رسم الأيقونات على جُدرانه وقبته حتى اليوم. وتجدر الإشارة بشكل خاص إلى **كنيسة أجيوس جورجيوس** الموجودة على الجانب الشمالي من الجدار المركزي، مع وجود اللوحات الجدارية التي ربما تعود إلى القرن الخامس عشر، ويشير التقليد بأنها أقدم كنيسة أو كاثوليكون في الدير. تمَّ بناء غرفة الطعام الرئيسيَّة في بدايات القرن العشرين، دون أنْ يتم دهانه. المدَّخرات المقدَّسة عديدة وجديرة بالملاحظة، مثل أوانٍ كَنَسِيَّة أَثَرِيَّة وأوانٍ مُقدَّسة، و الأيقونات المحمولة. من بين هذه الكنوز الثمينة والأواني الكنسيَّة التي يحتفظ بها دير القديس بولس (پاڤلوس) بجبل آثوس، وبكلِّ وقار واحترام وبدونِ أيِّ شَكٍّ تحتلّ المكان الأول، الهدايا الثمينة التي قدمها المجوس **للسيِّد المسيح** بعد ولادته وتَجَسُّده، الهدايا كما هو معروف هي من الذهب واللبان والمرّ، الذهب عددها ثمانٍ وعشرون قطعة منحوتٌ سطحها بدِقَّةٍ وعنايةٍ كبيرة، بأشكالٍ هندسيَّة رائعة ومختلفة (متوازي أضلاع، شبه منحرف، ذات زوايا متعدَّدة الخ ...) وأبعادها تقريبًا بين ٥ إلى ٧ سم. فنظرًا لهذه القيمة الروحيَّة الفريدة والمميّزة أولًا والماديَّة ثانيًا، وكذلك التاريخيَّة والأثريَّة التي لا تُقَدَّر بثمن، لهذا يُحتفظ فيها بخزائن الدير بحرصٍ وعناية شديدين، ولأسبابٍ تتعلَّق بحمايتها تمَّ توزيعها على عُلب بقايا مختلفة. فقط جزءٌ منها مكوَّن من ثلاث قِطَع توضع للسجود والتبرُّك للزوار الوافدين للدير بعد صلاة الغروب وقبل صلاة النوم الصغرى.

وهناك أيضًا قطعة من الخشب الحقيقي للصليب المقدس، وأيضًا **أيقونة والدة الإله المدعوَّة پاناچيًا كاثريفتيس (المرآة)**.

پاناچيًا كاثريفتيس (المرآة): في المنبر المقدس للكنيسة الكاثوليكون **بدير القديس پاڤلوس المقدَّس** توجد أيقونة **مريم العذراء العجائبيَّة** والتي تسمى **كاثريفتيس (المرآة)**. حول الأيقونة قِطَع من الآثار المقدسة (الذخائر). وفقًا للتقاليد، كانت هذه الأيقونة مُلكًا للإمبراطورة ثيودورا، زوجة **الإمبراطور ثيوفيلوس المحطم للأيقونات** (٨٢٩-٨٤٢). احتفظت الإمبراطورة بهذه الصورة في غرفتها الخاصة، خلف مرآتها، ولهذا سميت بالمرآة. لقد ألقاها محطمو الأيقونات في المحرقة، ولكن تم إنقاذها والحفاظ عليها، وما زالت آثار الحريق موجودها على ظهرها (خلف الأيقونة). تم إحضار الأيقونة من القسطنطينيَّة على يد **البارّ پاڤلوس كسيريوتاموس** مؤسس الدير. يبدأ تاريخها منذ زمن طويل جدًا ويرتبط بالقديسة ثيودورا المدعوة أڤغوستا التي كانت إمبراطورة بيزنطة في فترة تحطيم الأيوقونات ومحاربة وجودها في الكنائس. كانت الإمبراطورة ثيودورا متزوجة **لأشدِّ مضطهدي** الأيقونات والذخائر المقدسة، ألَا وهو **الإمبراطور ثيوفيلوس** (٨٢٩-٨٤٢). احتفظت القديسة ثيودورا المدافعة بامتياز عن الأيقونات حسب التقليد الشريف، بأيقونة في غرفتها للصلاة، وحتى لا يلاحظها زوجها **(أحد محاربي الأيقونات المخيفين والهائلين ببغضهم وحقدهم غير الموصوف)**، كانت تخبئها خلف مرآة غرفتها وتتعبَّد وتُصلِّي برفقتها كل يوم. ولكن في أحد الأيام رآها أحد خَدَمِ القصر وهي تعبد شيئًا ما على الجانب الذي توجد فيه المرآة، وأدرك على الفور أنَّ الإمبراطورة لديها أيقونة مُحَبَّبَة في مكان ما هناك، فقد خانت بتصرفها حسب رأيهم زوجها **الإمبراطور ثيوفيلوس**. عندما سأل زوجته ثيودورا عما تعبده في المرآة، (كونهُ أجبرها على الاعتراف باحتمال وجود الأيقونة المخفية)، أجابته الإمبراطورة بأنها لا تعبد شيئًا، رغم صورتها المميّزة والإعجاب بها لجمالها الذي لا يضاهى، فتجنّبَت وتجاهلت بحكمةٍ البوح بالحقيقة، وهكذا حافظت على هذه الأيقونة المقدسة. وبعد هذه الحادثة، أرسلت القديسة ثيودورا الأيقونة لحفظها إلى دير القديس پاڤلوس في جبل آثوس، كما فعلت مع سائر الذخائر المقدسة. واسم الأيقونة «**سيِّدة المرآة**» جاء من المكان الذي كانت فيه الأيقونة مخبأة في قصر الإمبراطورة، وما زالت رفات القديسة ثيودورا الأڤغوستية التي لا تفسد آثارها موجودة في جزيرة كورفو في اليونان، وغير البعيدة عن كنيسة القديس اسبيريدون الصانع العجائب هناك.

تضم المكتبة حوالي ٥٠٠ مخطوطة وعدة آلاف من المواد المطبوعة. المنشآت الموجودة أو التابعة للدير: أ) الإسقيط الجديد (**نيا سكيتي**)، ب) إسقيط نيو لاكووس (**ديمتريوس**). الأول يقع بالقرب من الدير ويتكون من ٢٨ من القلالي. تمَّ بناء الكنيسة الرئيسيَّة فيه عام ١٧٥٧ وتم تزيينها بالجداريات لاحقًا، وتُدعى **إيي كيرياكي** حيث تقام فيها خدمة القداس الإلهي لجميع المناسك سويَّةً حسب الترتيب الرهباني هناك. تمَّ ترميم البرج الشاهق مؤخرًا من قبل دائرة الآثار لكن وقت بنائه لا يزال مجهولًا. ومع ذلك كتحصين، كان من الممكن أنْ يوفِّر الحماية لرهبان الإسقيط خلال الأوقات الصعبة في الماضي، ولهذا السبب يُطلق عليه أيضًا اسم **إسقيط بيرغوس**. يقع اسقيط لاكووس (**ديمتريوس**) في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة على **جبل آثوس (هكذا يُسَمَّى الجبل)** ويتكوَّن من ٢٥ من القلالي بها عددٌ قليل من الرهبان الرومانيين (رومانيا). هُدمت أقدم كنيسة في نهاية القرن السابق ليعاد بناؤها من جديد تخليدًا لذكرى **القديس ديمتريوس**، على نفقة الراهب يوستينوس. ■



« وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ » (لوقا٢: ٢٥-٣٥) .

يقول **إشعياء النبيّ**: «ما أجمل أقدام المبشِّرين بالخيرات» (إش٥٢: ٧). وهل هناك شيء أحلى من أنْ تتعلَّم أنَّ الله خلَّص العالم بواسطة ابنه

وذلك بأنَّ صار إنسانًا مثلنا؟ كما هو مكتوب «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِنا» (١تيمو٢: ٥و٦). لأنَّهُ من تلقاءِ نفسه نزل إلى فَقْرِنَا لكي يجعلنا أغنياء بحصولنا على ما هو له.

انظروه إذن، كإنسانٍ مثلنا وهو يُقدَّم إلى الآب، انظروه وهو يطيع **ظلال الناموس** ويقدَّم ذبيحة بحسب ما كانت العادة حينذاك، رغم أنَّ هذه الأمور قد تمَّت **بواسطة والدَتِهِ** حسب الجسد. فهل لم يتعرَّف عليه أحد بالمرَّة في أورشليم في ذلك الوقت؟ وهل لم يعرفه أحدٌ من سكانها؟ كيف يمكن أنْ يكون هذا؟ فإنَّ الله الآب قد سبق وأعلن بواسطة الأنبياء القديسين أنَّ الابن سيظهر في الوقت المعيَّن ليخلِّص الذين هَلَكُوا ولينير على الذين كانوا **في الظلمة**. وقد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين «بِرِّي يأتي سريعًا ورحمتي تُعلن وخلاصي يتَّقد كمصباح» (إش٦٢: ١). ولكن الرحمة والبرَّ هما المسيح، لأنَّنا به حصلنا على الرحمة والبرّ، إذ قد غُسِلنا من شرورنا الدَّنسة بالإيمان به. وكما يُضئ المصباح أمام أولئك الذين يسيرون في الليل والظلمة، هكذا صار المسيح لأولئك الذين في الكآبة والظلمة العقليَّة، غارسًا فيهم النور الإلهي. ولأجل هذا السبب أيضًا صَلَّى الأنبياء لكي يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين: «أَظهِر لنا يا ربُّ رحمتَك وخلاصَكَ أَعطِنا » (مز٨٤: ٧).

حُمِلَ المسيح إذن إلى الهيكل، وهو بعد طفل رضيع على صدر أمه، **وسمعان المبارك** إذ كان قد مُنِح نعمة النُّبُوَّة أخذه على ذراعيه، وبارك الله وهو ممتلئ بأعظم فرح قائلًا: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ».

لأنَّ سِرَّ المسيح قد أُعدَّ من قَبْل تأسيس العالم، ولكنه أُظهر في الأزمنة الأخيرة، وصار نورًا لأولئك الذين في الظلمة والضَّلال بسقوطهم تحت **يد إبليس**. هؤلاء هم الذين كانوا يعبدون «الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ» (رومية ١: ٢٥)، عابدين **التنِّين مصدر الشَّر والشياطين النجسة** التي يُقدِّمون لها الكرامة اللائقة بالله، ومع ذلك فقد دُعوا الآن من الله الآب ليعرفوا الابن الذي هو النور الحقيقي. وبإشفاقٍ قال عنهم بصوت النبيّ: «سوف أصنع لهم آيات، وَأَقْبِلُهُمْ لأني سأُفْدِيهم، ويكثرون كما كثروا، وسأزرعهم بين الشعوب. والذين هم بعيدون سيذكرونني» (زك١٠: ٨،٩ سبعينيّة).

فكثيرون هم الذين كانوا بعيدين، ولكنهم قد دُعوا بواسطة المسيح. وأيضًا هم كثيرون كما كانوا من قبل. لأنهم قد قُبِلوا وافتُدوا، إذ قد حصلوا من الله الآب على التبنِّي في عائلتِهِ، وعلى النعمة التي بالإيمان بيسوع المسيح، وذلك كعلامة للسَّلام. **والتلاميذ الإلهيُّون** قد زُرعوا باتساع بين الشعوب. وماذا كانت النتيجة؟ إنَّ أولئك الذين كانوا بعيدين من الله قد صاروا قريبين. والذين يُرسل إليهم بولس الإلهي رسالة قائلًا: «أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ.» (أف٢: ١٣). وإذْ قد جُعلوا قريبين فإنهم يجعلون المسيح هو فخرهم ومجدهم. ولأنَّ الله الآب قد قال عنهم أيضًا: «سأُقَوِّيهم بالرَّبِّ إلهِهِم،

فيفتخرون باسمه يقول الرَّبّ» (زك١٠: ١٢ سبعينية). وهذا أيضًا ما يعلنه المرنم المبارك كما لو كان يتحدث إلى **المسيح مخلِّص** الجميع فيقول: «يا ربُّ بنورِ وجهِكَ يسلكون وباسمك يبتهجون اليوم كله، وبعدلك يرتفعون لأنك أنتَ فخرُ قوَّتهم» (مز٨٨: ١٥، ١٦). ونجد **إرميا النبي** يدعو **الله** قائلًا: «يا ربُّ قوَّتي وعوني وملجئي في يوم الضيق، إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون، آباؤنا اتخذوا لأنفسهم آلهة كاذبة لا يوجد فيها عون» (إر١٦: ١٩).

لذلك **فالمسيح** صار نورَ إعلانٍ للأمم، ولكنه صار أيضًا **مجدًا لإسرائيل**. لأنَّهُ رغم أنَّ البعضَ منهم تغطرسوا وَعَصَوْا، وكانت لهم عقول لا تفهم، إلَّا أنَّهُ كانت هناك بقيَّة قد خلُصَت وأُدخِلتْ إلى المجد **بالمسيح**، وباكورة هؤلاء البقيَّة هم **التلاميذ الإلهيُّون** الذين أشرق نور شهرتهم لينير العالم كله.

وهناك معنى آخر لكون **المسيح** « **مجدًا لإسرائيل**»، وذلك أنَّهُ جاء منهم حسب الجسد رغم أنَّهُ هو « الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.» (رو٩: ٥).

وسمعان الشيخ بارك **العذراء** كخادمة للمشورة الإلهيَّة، وأداة للولادةِ التي لا تخضع لقوانين الطبيعة البشريَّة. فقد وَلَدَتْ **وهي عذراء** وذلك بدون رجل، بل بحلول **قُوَّة الرُّوح القُدُس عليها**.

وماذا يقول سمعان النبي عن **المسيح؟** «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.» (لو٢: ٣٤). لأنَّ **عمانوئيل** قد وُضع من **الله الآب** لأجل أساسات صهيون. إذ هو « حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا» (١بط٢: ٦)، والذين وثقوا به لم يخزوا. ولكن أولئك الذين لم يؤمنوا ولم يستطيعوا أنْ يعرفوا السِّرَّ الخاص به، سقطوا وتهشَّموا. لأنَّ **الله الآب** قال أيضًا في موضع آخر: « ها أنا ذا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة والذي يؤمن به لن يخزى» (إش٢٨: ١٦ سبعينية). ولكن «كُلُّ مَن يسقط عليه هذا الحجر فإنه يسحقه» (لو ٢٠: ١٨)، ولكن النبيّ يدعو الإسرائيليين ليكونوا آمنين بقوله: « قدِّسوا الرَّبَّ نفسه وهو يكون خوفكم، وإنْ وثقتم به يكن هو تقديسكم، ولن تصطدموا به كما بحجر صدمة وصخرة عثرة» (إش٨: ١٣، ١٤ سبعينية). ولكن لأنَّ إسرائيل لم يقدسّوا **عمانوئيل** الذي هو **الرَّبُّ** وهو **الله**، ولم يريدوا أنْ يؤمنوا به فإنهم اصطدموا كما بحجرٍ بسبب عدم الإيمان. وهكذا **تهشَّم** إسرائيل وسقط. ولكن كثيرين من بينهم قاموا ثانية، وأقْصُد بهم الذين آمنوا به. هؤلاء تحوَّلوا من عبادة ناموسيَّة إلى عبادة روحيَّة، تغيَّروا من روح العبوديَّة الذي فيهم، واغتنوا بذلك الرُّوح الذي يجعل الإنسان حُرًّا، أي **الرُّوح القُدُس**. وقد صاروا شركاء الطبيعة الإلهيَّة وحُسبوا أهلًا أنْ يكونوا أبناء بالتبنِّي، ويحيَوْا على رجاء الحصول على المدينة العُليا. أي أن يكونوا مواطنين في ملكوت السموات.

أمَّا «العلامة التي تُقاوم» فيقصد بها **الصليب الثمين** الذي يقول عنه بولس الحكيم جدًا إنَّهُ: «لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١كو ١: ٢٣). وأيضًا يقول: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ،» (١كو ١: ١٨). لذلك فالعلامة التي تُقاوم تبدو **جهالة** بالنسبة لأولئك الهالكين بينما هي **خلاص وحياة** للذين يعرفون **قوَّة الصليب**.

ويقول سمعان بعد ذلك **للعذراء القديسة**: «وأنتِ أيضًا يجوز في نفسك سيفٌ»، ويقصد بالسَّيف **الألم** الذي ستعانيه لأجل **المسيح** حينما تراه مصلوبًا، وهي لا تعرف أنَّهُ سيكون أقوى جدًا من **الموت**، ويقوم من القبر. ولا تتعجبوا أنَّ **العذراء** لا تعرف هذا، فإنَّنا سنجد أنَّ الرُّسل القديسين أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بهذا في البداية، بل وتوما بعد القيامة لو لم يضع يديه في جنبه، ويتحسَّس آثار المسامير في يديه لم يكن ليصدقَّ التلاميذ الآخرين حينما أخبروه أنَّ **المسيح** قد قام وأنه قد أظْهَرَ نفسه لهم.

ولذلك فإن البشير الحكيم جدًّا – يُعلِّمنا – مِنْ أجل منفعتنا كل الأمور التي احتملها **الابن** من أجلنا ونيابة عنَّا، حينما صار إنسانًا وقَبِلَ أنْ يحملَ فقرنا، وذلك كي **نُمجده كفادينا، وكسيِّدنا وكمخلصنا، وكإلهنا**، الذي له مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقوة إلى دهر الدهور، آمين.

الأنبا أُلِمْبِيُوس – إيّاكَ والأفكار الدَنِسَة

قال **الأنبا أُلِمْبِيُوس** ما يلي : نَزَلَ أحد **كهنة اليونان (الرُّوم)** يومًا إلى الإسقيط، فجاءَ إلى صومعتي وأمضَى ليلته فيها. وبعد أنْ لاحَظَ طريقة عيش الرُهبان قال لي: « ما دُمتم تعيشون على هذا النحو، أفَلَا تحصَل لكم رُؤَى من لَدُن إلهكم؟». فقلتُ له أنْ لا توجد رُؤى. قال لي الكاهن: «ومع ذلك، فعندما نُقَدِّم ذبيحة لإلهنا، لا يخفي علينا شيئًا، بل يكشف لنا أسراره. وأنتم الذين يَجْهَدُون كُلَّ ذلك الجُهد في الأسهارِ والتَخَشُّع والتَقَشُّف، تقول إنَّكم لا تُشاهدون شيئًا! في الحقيقة إنْ كنتم لا ترون شيئًا، فَلِأَنَّ في قلوبكم **أفكارًا دَنِسَةً** تَفصِلُكُم عن إلهكم، ولهذا السبب لا تُكشَف لكم أسراره». فذهبتُ وأخبرتُ الشيوخ بكلماتِ الكاهن اليوناني، فَأُعجِبوا بها، وقالوا: إنَّ الأمرَ على ما وُصِفَ. ذلك **بأنَّ الأفكار الدَنِسَة تفصل** بين **الله** و**البَشر**.

الطاعةُ تعلو كُلَّ الفضائل

أربعةٌ من أهل الإسقيط يرتدون الجلود جاؤوا يومًا لمقابلة **الأنبا بامبُو العظيم**. فبيَّنَ كلٌّ منهم **للأنبا**، ما كان عليه جاره من الفضيلة. فالأوَّل كان كثير **الأصوام**، والثاني كان **فقيرًا**، والثالث صارَ على قَسطٍ وافر من **المحبَّة**. وعن الرابع قالوا: إنَّه كان يعيش منذ اثنتين وعشرين سنةً في **طاعة** أحدِ الشيوخ. فقال لهم **بامبُو** «أقولُ لكم، إنَّ فضيلة هذا الأخير هي الأسمى. فكلٌّ من الآخرين نالَ الفضيلة التي أرادَ الحصول عليها، أمَّا هذا الأخير فقد انتزع إرادته الخاصَّة ليعمل إرادة شخصٍ آخر. ومثلُ هؤلاء الناس شُهداء، إنْ هُم واظبوا حتى النهاية».

ملحوظة: القديس بورفيريوس الرائي، كان خاضعًا وطائعًا للشَّخين في المنسك الذي عاشَ فيه معهم في **إسقيط كافسوكاليفيا في جبل آثوس**، فنالَ نعمة إلهيَّة عظيمة قـلَّما نالها قديسٌ. !!!



في إنجيل اليوم، تُظهِر صلاة العَشّار أنها تجلب له رحمة الله. تتألَّف هذه الصلاة من الكلمات التّالية: «اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ» (لوقا ١٨:١٣). نُلاحِظ أنَّ الله سمع صلاة قصيرة كهذه وأنها تُلِيَت في الهيكل خلال خِدَم العبادة حين تُقرَأ وتُرَتَّل المزامير مع صلوات أخرى. هذه الصلاة ممدوحة في الأناجيل؛ وهي تُقَدَّم كمثال للصلاة ويصبح من واجبنا المقدَّس أنْ نتأمّل بها بِتَقوى.

لماذا لم يَختَر العَشّار مزمورًا مَهيبًا ومُؤَثِّرًا كي يُعبّر لله عَمَّا في قلبِه، لكنه لجأَ إلى صلاة مُقتَضَبة كهذه؟ لماذا ردَّدَ فقط هذه الصلاة خلال كامل الخدمة؟ الجواب هو بحسب الآباء القدّيسين (القديس تيخون زادونسك، الجزء ١٤، الرسال ٤.). عندما تبدأ التوبة الحقيقيَّة بالظهور في النفس، عندما ينبعث التَّواضع والنَّدم في الرُّوح بسبب انفتاح العيون على حالة الخطيئة التي في النفس، عندها يصل اختلاج الأفكار في النفس إلى حدٍّ مستحيل ولا يُطاق. وإذ تركّز النفس على ذاتها وتحوّل انتباهها إلى حالتها المأساويَّة، تُباشِر بمناجاة الله بشكل صلاة قصيرة ومُقتَضَبة.

عندما يمنح الله رؤية شاملة لحالة الخطيئة الحاصلة في الشَّخص، فلا يمكن وَصفُها بخطاب بَليغ وكلمات كثيرة؛ أكثر تحديدًا، يعبِّر الشَّخص عن إحساسه بأنين وتَنَهُّدات في النفس، تُرافِقُها كلمات بسيطة وقصيرة. مَن يُريد أنْ يفتتح توبة عميقة في ذاته يستخدم صلاة قصيرة للوصول إلى تلك الحالة، وينطقها بكُلِّ ما أمكنه من تركيز وخشوع. بالتَّخَلّي عن الكلمات الفائضة، حتى ولو كانت كلمات مقدَّسة، يتسنّى للذِّهن أنْ يتحرّر بشكلٍ كاملٍ من التَّشَتُّت وأنْ يُجاهِد بكل قوّته للعودة إلى ذاته. يقول القدّيس يوحنا السُّلَّمي: «لا تتبع الإكثار في الكلام، كيلا يتشتّت فكرُك في إيجاد الألفاظ. كلمة واحدة من العَشّار استغفرت الله، وعبارة واحدة صادقة خلّصت اللِّص» (لوقا ٢٣:٤٢). فكثرة الكلام في الصلاة كثيرًا ما تجعل العقل يتخيّل ويتشتّت، أمّا «المونولوجيا» (أي ترديد عبارة واحدة مثل «أيّها الرَّبُّ يسوع المسيح ابن الله ارحمني») فمن شأنها أن تجمع الذِّهن. (القديس يوحنا السلّمي، «السلّم إلى الله»، المقالة ٢٨، رقم ٩، تعريب الأب إسحق عطالله الآثوسي، ١٩٩٨.).

بسبب المنفعة العظيمة التي تجلبها تلك الصلاة القصيرة اليَقِظة والمُرَكَّزَة، تُوعِز الكنيسة المقدَّسة لأبنائها بأنْ يتعلَّموا شكلًا من صلاةٍ قصيرة. مَن يتعلَّم صلاة كهذه يملك قدرة وجُهوزيَّة للصلاةِ في أيِّ مكانٍ وأيِّ وقتٍ. بإمكانه أنْ يصرخ لله خلال السَّفَر، في غرفة الطَّعام، خلال الأعمال اليدويَّة، أو في رِفقة الآخرين. إنْ كانت الصلاة بالشَّفَتين غير ممكنة فبالإمكان الصلاة في الذِّهن. الصلاة القصيرة هي مُناسبة ومُلائمة: فَمِنَ السَّهل خسارة معنى وتسلسل الصّلوات الطويلة إذا كنَّا مشغولين بأمور أخرى، فيما الصلاة القصيرة تُحافظ على استقامتها دائمًا. إنْ توقَّفَتْ لوقتٍ قصير، فيمكن العودة إليها بجُهد ضئيل. حتى خلال الخِدَم الكنسيَّة. من النَّافِع تَرديد صلاة قصيرة في الذهن — فهي لا تجعلنا نتشتَّت خلال الصلوات التي تُتلى أو تُرَتَّل في هيكل الله فحسب، لكنها تحديدًا تُسَهِّل الانتباه لها، وتمنع تَشَتُّت الذِّهن. عندما لا يُضبَط الذِّهن في ذاته من خلال صلاة قصيرة تملأ النفس بشعور التوبة، فيصبح من السَّهل أنْ يتشتَّت، يضيع انتباهه عن القراءات والتّراتيل في الكنيسة وينجذب للأفكار والتخيُّلات.

هذا ما حصل مع **الفَرّيسي** المَذكور اليوم، الذي أعار انتباهًا سطحيًّا للخِدَم وسقط في **أفكار الخطيئة**. لم تَنزع أفكارُ الخطيئة قيمةَ صلاته الضعيفة فحسب، بل جَعَلَتْها عُذرًا لإدانة إنسانٍ يُصلّي. لقد شَجَبَ الله صلاة **الفَرّيسي** — خرج **الفَرّيسي** من الهيكل مَختومًا بغضب الله، غير مُدرِكٍ أو مُبالٍ لمشكلة نفسه لأنَّ قلبه الخالي من التوبة كان **مملوءًا بالخِداع والاكتفاء الذّاتي**. عندما تصبح الصلاة القصيرة عادة من خلال الممارسة المتواترة، فهي تصبح أمرًا طبيعيًّا.

عندما ننصت لما يشغل انتباهَنا، يمكننا النُّطق بالعديد من الأقوال العجيبة التي لا تضبط انتباهنا فحسب، بل تشدّده أيضًا. يحصل الأمر ذاته عندما نحظى بعادة الصلاة القصيرة؛ نعبِّر من خلالها عن انسجامنا وانتباهنا للصلوات والمزامير التي تُتلى على مَسامِعنا.

خلال الصّوم الأربعيني، وفي جميع الخِدَم الكنسيّة، تُرَدَّد صلاة «اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ!» على مَسمع جميع الحاضِرين. لماذا تُعاد الصلاة ذاتها مِرارًا وتكرارًا؟ كي نتعلّم أن نردّدها بتواتر. الصلاة القصيرة «يا رب ارحم» تُعاد تكرارًا للسبب ذاته.

عندما أشاد **مخلّص** العالم بصلاة العَشّار، عاد فسمح ومنح لنا أنْ نصلّي بواسطة **اسمه** الكُلّي قُدسه. تُعرَف هذه الصلاة ب «**صلاة يسوع**» بسبب **اسم الرب يسوع** ولأنه هو الذي أسّسها. في العهد القديم، توجّه الإنسان في الصلاة إلى إله لم يكُن يعرفه بشكل كامل. عندما بدأ العهد الجديد، قُدِّمَت إلى الإنسان تَكمِلة شاملة للصلاة — وسيلة جديدة للصلاة إلى **الإله–الإنسان** كوسيط بين **الله والبشر**؛ طريقة جديدة للصلاة إلى الوَسيط الذي اتّحد به **الله بالبشريّة**؛ إلى الوَسيط الذي أعلنه **الله** (يوحنا ١:١٨)، الذي بيّن الألوهة للإنسان بأقصى دِقّة وكمال للفهم البشريّ.

صلاة العهد القديم «اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ» تشبه صلاة العهد الجديد «أيّها الرب يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطئ». إستخدم خُدّام **الله** في العهد القديم الصلاة الأولى؛ أمّا خُدّام العهد الجديد، فيما استعملوا الصلاة الأولى، لكنّهم استعملوا الصلاة الثانية أكثر، لأنه سُرَّ **بالإله–الإنسان** أنْ يُقرِن قوّة روحيَّة عجائبيَّة خاصة بآسمه البشري. تُستَخدَم أيضًا صلاة «يا رب ارحم» بلا انقطاع. هي صياغة مختصَرة **لصلاة يسوع** وتَنوب عنها في الأوقات التي يصعب فيها تلاوة **صلاة يسوع** كاملة؛ على سبيل المثال: حين ينتابُنا الخوف، في أوقات الفرح غير المُتَوَقَّع، في أوقات المرض الشَّديد أو خلال الرُّؤى الرّوحيَّة. في الحالة الأخيرة، صرخة «يا رب ارحم» هي ردّة فعل الذِّهن للمعرفة المملوءة بالنعمة التي تنسكب عليه حين يتطهّر — معرفة تفوق إدراك الذّهن ولا يمكن التعبير عنها بالكلمات.(الفيلوكاليا، القديس بطرس الدمشقي، الرُّؤى الذّهنيّة السبعة ١:٣.).

ما المعنى الذي تحويه الجُملَتان الفِعليَّتان «إرحمْ» أو «كُن رحيمًا» في هذه الصلوات؟ إنَّهُ إدراك الإنسان بأنَّهُ يهلك؛ إنه الإحساس بالرحمة والشَّفَقة التي أمَرَنا **الرَّبُّ** أن نشعر بها تجاه أنفسنا، لكن الذين يشعرون بها قليلون؛ إنَّهُ رفض رأينا بأنفسنا؛ إنَّهُ طلب لرحمة **الله**، بدونها لا رجاء لخلاص الهالِكين. ليست رحمة **الله** إلّا نعمة **الرُّوح القُدُس**، وعلينا نحن الخطأة أن نطلبها من **الله** بِتَواتُر وبلا كَلَل.

إرحم يا **ربُّ** حالتي البائسة التي سقطتُ فيها، وحُرِمتُ من نعمتك، واسبغ عليّ نعمتك مُجَدَّدًا.

شَدِّدني بروحِكَ الرِّئاسيّ (مزمور ٥٠:١٢)، روح نعمتك كي أستطيع الصُّمود أمام التجربة التي يواجهني بها **الشيطان**، والتجربة الآتية من طبيعتي السّاقِطة.

أرسِل إليّ روح عِفَّة كي أخرج من حالة الهذيان هذه، وسَدِّد خطواتي الخُلُقيّة (*Умоисступления* حالة إضطراب قُصوى أو أنفعال عصبيّ مع انعدام القدرة على ضبط النفس والتصرّف بطريقة صحّية وعقلانيّة **(المُتَرجِم)**، .

أعطِني روح مَخافتِكَ كي أملكَ مَخافةً مُقدَّسةً لك، كما يليق بمخلوقٍ ضعيف أنْ يخاف إلهه خالقه العظيم، كي أحفظ قُدسيَّة وصاياك بِمَهابة أمامك.

أغرسْ في قلبي حُبًّا لك، كيلا أنفصل عنك أبدًا، ولا أغفل مُنجَذِبًا إلى **الخطيئة البَغيضة**.

هَبني سلامَك كي يحفظ نفسي في هدوء غير مُتَقَلْقِل مانِعًا أفكاري من الزَّيغ في العالم بلا سبب من أجل ضرر نفسي؛ كي يجمع أفكاري في داخلي وينقلها إلى العُلى نحو عرشك.

أعطِني روح الوداعة، كي أنقطع عن الغضب والمكر، كي أبقى دومًا ممتلئًا بالصَّلاح تجاه أخي.

أعطِني روح تواضع الذِّهن كيلا أستكبر أو أحلم بذاتي أو أسعى لكسب المديح والمجد البشري؛ لكن بالأحرى، كي أتذكَّر أنَّني أَرْضٌ ورماد وكائن ساقط، مطروحٌ على الأرضِ لعدم استحقاقي، ويجب أن ينتشلني الموت من هذا الجسد فأظهر أمام دينونتك الرَّهيبة والعادِلة (مُقتَبَس من تفسير القديس بايسيوس فيليتشكوفسكي لصلاة 'يا رب ارحم'، كتابات الشّيخ بايسيوس، دير أوبتينا ١٨٤٧.).

اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ! **ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، إرحمني! يا ربُّ ارحم!**

كثيرون يلفظون هذه الصلوات القصيرة بِعَجَلة كبيرة، ما يَهُمُّهم فقط هو قول العدد المطلوب منها. بهذه الطريقة في الصلاة، لا يسمحون للصلوات بالوُلوج إلى القلب وإنتاج مفعولها الجوهريّ، وهو الشعور بالهدوء. يُشير **الآباء القديسون** بِحَقٍّ أنَّ الذي يُصلّي هكذا فهو يصلّي للهواءِ وليس **للهِ** (القديس نيل من سورا، مقدّمة كتاباته.). لماذا نضجر في الكنيسة؟ لأنَّنا لا نشعر بمفعول الصلاة. لماذا نسرع إلى مائدة غنيّة بالطعام؟ لأنَّنا نعرف ماهيّة الطّعام من خلال الخبرة. لماذا لا نسرع إلى الكنيسة بل نحاول أنْ نأتي مُتَأخّرين بعد مُضِيِّ قسمٍ كبيرٍ من الخِدَم الإلهيَّة؟ لأنَّنا لا نعرف منْ خلال الخبرة ماهِيَّة الصلاة، التي هي غذاء للنفس والتي تمنحها قوّة روحيَّة. لا نعرف ماهيَّة الصلاة من خلال الخبرة لأنَّنا نصلّي بِعَجَلة وبلا انتباه وبشكل سطحيّ. تأثير الصلاة الطويلة العديمة الأنتباه على النفس كتأثير المطر الغزير على سطح مَعدِنيّ، تسيل عنه كُلُّ المياه، بِغَضّ النظر عن كمّية المطر الهاطلة، من دون أيِّ تأثير عليه. بالمقابل، الصلاة اليَقِظة تشبه مطرًا نافعًا يُروِّي حقلًا مزروعًا، يُغذِّي ما ينبت فيه مُهَيِّئًا لحصادٍ وفير.

إنَّ تلامذة الصلاة الذين يَتَّكون على صدرها — الآباء القديسون — يُصَحِّحون خطأً كبيرًا يحرم النّاسك المُصَلّي من جميع ثمار عمله النُّسكي. يعلّموننا أن نتلفَّظ بكلمات الصلوات القصيرة وجميع أنواع الصلاة من دون عَجَلة، منتبهين بِتَمَعُّن شديد إلى كلمات الصلاة.

(«إلزم الصمت، كي تهدأ جميع الحَواس، ثم إبدأ، بدون عَجَل وبدون كَسَل، لكن بإحساس هادئ واتّضاع في القلب، بتلاوة «طوبى للرجل» (مزمور١:١) وصَلِّ ما تبقّى بِسُكون وتَعَقُّل من دون تَسَرُّع، كي يستطيع الذّهن فهم ما يُقال.» من التعليمات قبل قراءة المزامير.). عندما تُقرأ الصلوات من دون تَسَرُّع، يمكن الوصول إلى انتباه كهذا بينما القراءة السريعة لا تَترُك مَجالًا للأنتباه. الصلاة بدون تركيز هي كجسدٍ خرجت منه النفس: خالية من عطر التواضع الزكيّ، لا تَصْعَدُ نحو الله. تنتابُها أفكار التَّشَتُّت وتُميتُها، فَتَرحَفُ في أرض **الفساد والروائح الكريهة**، وتجلب هذا الفساد لمن يُصَلّون بِتَهاوُنٍ وبُرودَة. ينعكس التَّركيز الذِّهني في القلب من خلال تَفَجُّع مبارَك على الخطايا، أي التوبة بذاتها التي يوصينا بها الله. عندما يمتلئ القلب بإحساس التوبة، تقوم بِدَورِهِ بِٱجتذاب الذِّهن نحو تركيز أفضل. حالما يوجد التَّركيز والشعور بالهدوء، تدخل جميع مواهب **الرُّوح القُدُس** في النفس وتجعلها هيكلًا لله.

فلتكن صلاتُنا مميّزة بِهاتين الصِّفَتَين: **الأنتباه والتوبة**. فلتُحَلِّق إلى السَّموات مُتَّخِذةً إيّاهما كجناحَين، لتظهر أمام وجه الله كي نحصل على رحمته. تتحلّى **صلاة العَشَّار بِهاتين الصِّفَتَين**. إستحوذَ عليه الإدراك بحالة خطيئَتِهِ، ولم يكن له أيُّ رجاءٍ بأعمالهِ لِنَيل الخلاص؛ لقد وضع رجاؤُهُ فقط برحمة الله، التي تدعو جميع الخطأة للتوبة وتمنحهم الخلاص لأجل التوبة وحدها. كخاطئٍ بلا صلاحٍ ذاتيّ، وقف **العَشَّار** من بعيد في آخر مكان في الهيكل. كخاطئٍ غير مستحق للسماء، لم يشأ أنْ يرفع عينيه نحو السَّماء. كانت عَيناه مُوَجَّهتين صوب الأرض؛ وفيما كان يقرع صدره بالتوبة من عمقِ قلبه، لَفَظَ بِكُلِّ نفسه الصلاة المزوجة بٱعترافه: اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ.

كانت صلاته فَعَّالة وصلبة لدرجة أنَّ الخاطئ غادر الهيكل مُبَرَّرًا. **الرَّبُّ** فاحص القلوب، **مخلِّص** البشر، قد شهد بذلك – وتَمّت كلمات النّبي بهذا الخاطئ التّائب (مزمور ١٠١:١٦-١٨):

«لأن الرب سَيَبْني صهيون»، نفس الإنسان التي تهدّمت بسبب السقوط،

«ويظهر فيها بمجده. نظر إلى صلاة المُتَواضِعين ولم يرذل طِلبَتَهم. فليُكتَب هذا للجيل الآخر»، فليُكتَب هذا كي تعرفه كُلُّ البشريّة، فليُكتَب هذا كي تعرفه جميع القبائل والأجيال المسيحيَّة القادمة!

«والشعب الذي يُخلَق» من خلال التوبة والصلاة اليَقِظة، إذ تيقَّنوا بتجديدهم بواسطة النعمة الإلهيَّة،

«يسبّح الرب» الذي سُرَّ أن يتجسَّد ليخلِّصَ البشر برأفته الجزيلة وتعاليمه العجيبة. آمين.

من أقوال الآباء عن الوداعة والتواضع

† لَمَّا سُئِلَ **القديس مقاريوس الكبير**: «أي الفضائل أعظم؟» أجاب: «كما أنَّ التَكَبُّر أسقط ملاكًا من عُلُوِّه، وأسقط الإنسان الأوَّل، كذلك الاتضاع يرفع صاحبه من الأعماق». «الذي يُنهِضُ المسكينَ منَ الأرضِ. ويرفع البائِسَ من المزبلة» (مز١١٢:٧)، «أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ.» (لو١: ٥٢).

† قال **المغبوط أغسطينوس**: المتواضعون كالصخرة، تنزل إلى أسفل، ولكنها ثابتة وراسخة. أمَّا المتكبرون فإنهم كالدخان يعلو إلى فوق ويتَّسع. وفيما هو يعلُو ويتسع، يضمحل ويتبدَّد.

† وقد قدَّم القديسون مثالًا آخر عن التواضع والكبرياء، فقالوا:

إنَّ غصن الشجرة المحمَّل بالثِّمار، يكون مُنحنيًا من ثِقَلِ ما يحمل. أما الغصن الفارغ فيكون مرتفعًا!

وهناك تشبيه آخر وهو الأساس والبناء: فالأساس يعمل في اختفاء، وهو غير ظاهر، تحت الأرض لا يراه أحد. ولكنه يحمل البناء كله في إنكار الذات. وفي نفس الوقت يقدِّم البناء في كرامة. فيمدح الناس البناء لأنه ظاهر أمامهم. ويندر أنْ يفكر أحدٌ في مدح الأساس المخفي.

† قال **الأنبا موسى**: تواضُع القلب يتقدَّم الفضائل كلَّها. كما أنَّ الكبرياء أساس الشُّرور كلها.

† وقال **القديس اسحق السوري**: الذي يعرف خطاياه، خيرٌ له من نفعه الخليقة كلها بمنظره. والذي يتنهد كل يوم على نفسه بسبب خطاياه، خير من أنْ يقيم الموتى.. والذي استحق أنْ يبصر خطاياه، خير له من أنْ يبصر ملائكة.

† وقال **أحد القديسين**: تَشَبَّهْ بالعشَّارِ لئلَّا تُدانَ مع الفريسي.

† وقال **قديس آخر**: إني أفضل أنْ أكون مهزومًا باتِّضاع، على أنْ أكون منتصرًا بافتخار.

† وفي إحدى المرات قال أخ **للقديس تيموثاوس**: «إني أرى فكرى مع الله دائمًا». فأجابه: «الأفضل من ذلك أن ترى نفسك تحت كل الخليقة.»

† قال **أحد الشيوخ**: الاتِّضاع خَلَّص كثيرين بلا تعب. وَتَعَبُ الإنسان بدون اتِّضاع يذهب باطلًا. لأنَّ كثيرين تعبوا فاستكبروا وهَلَكُوا.

† وقال **آخر**: إنْ نزل الاتضاع إلى الجحيم، فإنه يصعد حتى إلى السماء. وإنْ صعدت العظمة إلى السماء، فإنها تنزل إلى الجحيم.

† **سُئِلَ شيخ**: «كيف يوجد أناس يقولون إننا نرى ملائكة؟» فأجاب: «طوباه الذي يرى خطاياه كل حين.»

† قال **سمعان العمودي**: «الاتضاع هو مَسْكِنُ الروح وموضع راحته. والمتواضع لا يسقط أبدًا. إذْ كيف يسقط، وضميره وفكره تحت جميع الناس..؟! سقوطٌ عظيمٌ هو الكبرياء. وَعُلُوٌ عظيمٌ هو الاتضاع. فَلْنُعَوِّدْ نفوسنا منَ الآن بِأَنْ نتمَسَّكَ بالاتضاع ونجعله لنا عادة، حتى إنْ كان قلبنا لا يشاء.







حضور الله
وقت المرض والحزن والاكتئاب واليأس

للأب . أنتوني م. كوفياريس

الحياة تُعاش في الأودية

● هذه القصَّة التالية تحكي البديهة التي تشترك فيها إمرأة مع خالتها: « عادت أُختي من عُطلة أُسبوع ساحرة، وكانت تلك العطلة مُفعمة بالبهجةِ، وقد قَضَتها بين أُناس رائعين. أمَّا هي فكانت على العَكسِ تتحَسَّرُ على روتين العمل اليومي، والذي يجري على وتيرةٍ واحدة، وكذلك على مسكنِها المتواضع، وعلى أصدقائها المتكرِّرين كُلَّ يوم».

قالت زوجة العمّ بهدوء: «لا يحيا الإنسان دومًا فوق قمَّة الجبل، مِنَ الجيِّد أنْ يذهبَ إليه أحيانًا للخلوةِ والتأمُّل، ليَلتقي بإلهامات جديدة. ولكن عليكِ أنْ تنزِلي بعد ذلك. إنَّ الحياة تُعاش في الأودية. هناك حيثُ الحقول والبَساتين، حيثُ تتمّ الحراثة والعمل. وفي تلكَ الأماكن تُطَبِّقينَ عمليًّا الرُّؤى التي أُلهِمْتِ بها فوق».

● إنَّ التلاميذ رغِبوا بِشِدَّةٍ أنْ يَظَلُّوا مع يسوع على قمَّةِ جبل التجلِّي، ولكن يسوع اقتادهم عودة إلى أسفل، إلى الوادي حيثُ كان عليه أنْ يَشفِيَ المصروع.

● **يَضَع هانز فون بالثاسار في فَمِ يسوع**: أُنظر: هذا سِرِّي، وليس غيره في السَّماء، ولا على الأرضِ: صليبي، موتي نُصرةٌ، وظَلامي ضِياءٌ.

الأرتقاء من الضَّعفِ إلى القوَّةِ

● يُخبرنا رَجُل الصناعةِ المشهور ج. س. **بيني** عن الوقت الذي انهارَ فيه. كان مطروحًا في مستشفى في اكتئابٍ شديد لدرجةٍ أنَّهُ أحَسَّ أنَّهُ سوفَ يموت أثناء الليل. لقد كتبَ خطابات وداع لزوجته وأولاده. ثمَّ يستمرُّ ويقول: «وعندما أقبَلَ الصباح، شعرتُ كما لو كانت الخيالات تجرفني، وكنتُ بِلا أيِّ أَمَلٍ تمامًا. السَواد غَشِيَ ذِهني». ومن مكانٍ بعيد من أسفل القاعة سمعتُ ترنيمًا. كانت المرضات يُرَنِّمنَ في الكنيسةِ ترنيمة الصباح: «**الله يعتني بِكَ**». أصغيتُ، وفجأةً شيءٌ ما أشرَقَ داخلي، فَسَلَّمتُ نَفسي **لله** وقلتُ له: «يا ربُّ لا أستطيع أن أفعل شيئًا، مِنْ فَضلِكَ أعْتَنِ واهتَمَّ بي».

وقالَ مِنْ بعد ذلك: أنْ تَرَكَ ذاته **لله**. «أخذَ الظلام ينحَسِر كما لو كان شخصٌ ما، قد ألقَى الستائر إلى خلف، وأضاءَ كُلَّ الأنوار في المكان، امتلأت الحجرة بالتَّألُّقِ ببهاءٍ، واختبرتُ انسكاب قوَّةٍ فِيَّ، شَيءٌ لم أَكُنْ أَظُنُّ أنَّهُ يُمكن أنْ يحدث قَطُّ». لقد اكتشفتُ أنَّهُ إنْ تحقَّقَ شخصٌ ما مهزوم أنَّهُ لم تَعُد في نفسِهِ قوَّة، ثمَّ سَلَّمَ نفسَهُ بإيمانٍ، فإنَّهُ سوفَ يَجِد قوَّة تفوق القُوَّة البشريَّة.

● وكما أنَّ جُزأين مِنْ مَعْدَنَيْنِ يَصيرانِ أقوَى عند نقطةِ التحامهما معًا (بينما كانا أصلًا ضعيفين)، فإنَّهُ هكذا **قوَّة المسيح القائم من بين الأموات** يُمكنها أن تعمل فينا، لِنَصير أكثر قوَّة بعد أنْ كُنَّا مِنْ قَبلُ أكثر ضَعفًا.

إنَّ قوَّة المسيح القائم من بين الأموات يُمكن أن تعمل فينا، لِنَصير أكثر قوَّة بعد أنْ كُنَّا مِنْ قَبلُ أكثر ضَعفًا.

الليلة المُظلِمة للنفسِ

● لا تُفَكِّر ولا للحظة أنَّ الصُّدفةَ هي التي تحكُم العالم، وعندما تَغشى نفسُكَ الليلة المظلمة، فلا يزال **الله** هو الحاكم، لا يزال هو **البانتوكراتوا (الضابط الكُلّ)**، لا يزال هو المُوَجِّه والمُدَبِّر، لا يزال جالسًا على عرشِهِ.

● «لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ، بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهِجِينَ.» (١ بط ٤: ١٢-١٣).

● يعمل **الله** في تجارب حياتك في منتصف الليل. إنَّهُ يأخذ قطعة من الصلصال (طين) ليصوغها لتكون على شِبهه. ليسَ أمرًا سَهلًا أنْ نُرَنِّم ونحنُ نواجه بعض الأزمات، وكذلك عندما تكون قلوبنا ثقيلة. ولكنَّ **الله** يُعطينا أُغنية حتى وسط القلاقل، تمامًا مثلما رَنَّمَ **المسيح** وتلاميذه وهُم في طريقهم إلى الجلجثة، وكما رنَّمَ بولس وسيلا في السجن عند منتصف الليل.

● إنَّ الحياةَ ليست مثل زهرة عَبَّاد الشَّمس، تأخذُ اتجاهها دائمًا نحو الشمس، ولكنها مثل زهرة البنفسج، أحيانًا تكون في الظِّلِ، وأحيانًا في الشَّمسِ.

● وكما توجد ظهيرة بالغة الحرارة، هكذا توجد ليالٍ قاتمة الظلام، ولكن كُلُّ ليلة مُظلمة، إنَّما تأخُذ طريقها نحو ظُهرٍ مُضيءٍ، لأنَّ **المسيح قام!**

● ويقول **يسوع**: « فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يوحنا ١٦: ٣٣).

لذلك نحن نُرَنِّم خلال طريقنا في الحياةِ ترانيم الخلاص، ترانيم الرَّجاء

تتمة صفحة ١٤



ثمر المحبّة:

كُلُّ عملٍ صالح، هو ثمرٌ للمحبَّة، ولذلك كَثُرَ الكلام عن المحبَّة. هكذا قال **السيِّد المسيح** لتلاميذه: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ٣٥). وأيضًا يقول **الرسول بولس** : «لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رومية ١٣: ٨). فهو لم يعتبر المحبَّة أمرًا عاديًّا، لكنها ٱلتزام ودين الواحد نحو الآخر. لأنَّهُ كما أنَّنا ملتزمون بالاهتمام بالجسد فنوفيهِ ٱحتياجاتِهِ كافةً طوال الحياة، هكذا أيضًا بالنسبةِ للمحبَّة، فهي تُعلِّمنا أنْ نعملَ، وبالأكثر جدًّا تقودنا إلى الحياة الأبديَّة. وتبقى مع أولئك الذين يمتلكونها. «أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ.» (١كور ١٣: ١٣). ليسَ فقط بالكلام، بل إنَّنا نتعلمها وننمو فيها من خلال الحياة العمليَّة.

أوَّلًا: وقبل كُلِّ شيء. من خلال خلقتنا، فبعدما **خلقَ الله الإنسان**، قال:«هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا» (تك٣: ٢٢)، وبناءً عليه، ينبغي أنْ نؤمنَ بأنَّنا واحدٌ فيما بيننا، ونهتم أنْ نحيا في محبَّة، الواحد نحو الآخر.

ثانيًا: ومن خلال تعاملاتنا وعلاقاتنا، لقد علَّمنا **السيِّد المسيح** بكلِّ حكمة كيف تكون محبَّةُ القريب؟ إسمع كيف بعدما ملأَ المسكونة بخيراتٍ كثيرة، أعطى لكُلِّ مكان إمكانية أنْ ينتجَ ثمارًا متميِّزة، حتَّى أنَّه عند الٱحتياج، يلجأ الواحد إلى الآخر، ويُقدِّمَ المرءُ من الفائض الذي لديه، إذ نحنُ شركاء في الإنسانيَّة. هذا ما وضعه **الله** في كُلِّ إنسان على حِدَةٍ، لأنَّه لم يُعطِ الجميع أنْ يعرفوا كُلَّ شيء، بل أعطَى لواحدٍ أنْ يعرف علوم الطِّب، والآخر جعله يُجيدُ حِرَف يَدويَّة، وأعطى لثالثٍ عملًا مختلفًا، حتَّى يظلَّ هناك احتياج الواحد للآخر، وحتى نترابط معًا بالمحبَّة. بل وبالنسبة للجوانب الرُّوحيَّة، نجد أنَّ **الله** يخصِّص لكُلِّ إنسان موهبته، كما يقول **بولس الرسول**: «فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ.» (١كور ١٢: ٨-١٠)، ولكن لا شيء أسمى مِنَ المحبَّةِ. لذلك فقد وضعَ المحبَّة قبل كُلِّ شيء. هكذا يقول: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا.» (١كور ١٣: ١-٢). لكنه لم يتوقَّف عند هذا الحدِّ، بل ويُعلِّم أيضًا بأنَّ الموت في تقوى وإيمان لا يفيد بشيء، إلَّا إذا ارتبطت هذه التقوى وهذا الإيمان بالمحبَّة. ولم يتكلَّم **الرسول بولس** عنها بشكلٍ سلبي، لأنَّه كان يعرف جيِّدًا، وهو العامل **بوصايا الله**، عندما تكون المحبَّة متجذِّرة في النفس، فسوف تُثمر بكُلِّ ثمار الصلاح. لأنَّ وصايا مثل: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.» (خروج ٢٠: ١٣-١٦). وأيُّ فضيلة أُخرى تَتلَخَّص في ما قاله في رسالته إلى أهل غلاطية: «كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (غلاطية ٥: ١٤). ولكن هل هناك ضرورة للحديث عن الأمور البسيطة، ونصمت عن الأمور العظيمة؟ لقد نَزَلَ إلينا **ٱبن الله**، بسبب محبَّتِهِ الفائقة للبشر، وعاشَ في وسطهم، وقدَّمَ محبَّته للجميع، وظهر هذا في الأقوال والأعمال؛ وبعدما أبطَلَ خِداع تعدّد الآلهة، وأعلَنَ **معرفة الله الحقيقيَّة**، عَلَّمَ البشر كيف يُحبُّون بعضهم بعضًا، وقد شَهِدَ **القديس يوحنا الإنجيلي** بذلك قائلًا: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يوحنا

١٦:٣). هذه المحبَّة المشتعلة في قلب الرسول بولس، جعلته يصرُخ بهذا الصوت السماوي قائلًا: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (رومية ٨:٣٥).

إذًا بعدما ازدرى بِكُلِّ هذه الأمور، كأنَّها لا شيء، تحدَّثَ عن ما هو أكثر أهميَّة بكثير من كُلِّ هذا، قائلًا: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رومية ٨:٣٨-٣٩). هكذا فإنَّه لا شيء قد استطاعَ أنْ يفصلَ هذا الطوباوي عن **محبَّة الله التي استعلنت في المسيح يسوع**، فقد اشتعلت هذه المحبَّة في قَلبِهِ، فلا سماء ولا أرض، ولا بحر، ولا ملكوت السَّموات، ولا أيِّ شيء آخر يقدِر أن يفصله عن هذه المحبَّة الغامرة، فقد تجاوَزَ كُلَّ هذه الأمور لأجلِ **المسيح**. ولو أنَّنا تمعَّنا في حياةِ القديسين الآخرين، سنتأكَّد من أنَّ الجميع قد ظهروا متميِّزين، وقد أرضوا **الله** بمحبَّتهم.

المحبّة والفكر الواحد:

إنَّ محبَّتَكَ لقريبِكَ ينبغي أنْ تكون مثل محبَّتك لِنَفسِكَ، فهي تُعلِّمُكَ أنْ تفرحَ عندما ينال خيرات وتفرَح لِمَا يُحقِّقُهُ، كما تفرح لِنفسِكَ عندما تحقِّق أهدافك، وتُعَلِّمَكَ محبَّة القريب أنْ تحتملَ نقائِصَهُ، كما تحتمل أنتَ عيوبَكَ. المحبَّة تجعل الكثيرين جسدًا واحدًا، وتجعل منْ نفوسهم **هيكلًا للرُّوحِ القُدُس**. لأنَّ روح السلام يستريح في نفوسِهِم، حين يكونوا مُتَّحِدين، وليس عندما يكونوا منقسمين فيما بينهم. المحبَّة تجعل كُلَّ شيء مُشتركًا بين الجميع، كما يُخبرنا سفر أعمال الرُسُل: « وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا... فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ.» (أع ٤:٣٢-٣٥). هل يُمكن أن يُهدَم حائط من هجمات الأعداء، عندما يكون راسخًا ومتينًا، ومُترابطًا بحجارةٍ كبيرة، وبشكل متوافق؛ هكذا تكون جماعة المؤمنين التي لها فكرٌ واحد، ومحبَّة مُشتركة تربطهم معًا برباطٍ قَوِيٍّ، هذه المحبَّة كفيلة بأنْ تَصُدَّ **هجمات الشيطان وَتُبْطِلَها**، وهذا أمرٌ طبيعيّ جدًّا، لأنَّ أولئك الذين يصطفُّونَ معًا، في مواجهة **الشيطان**، الواحد إلى جوار الآخر، لا يُمكن أنْ تقهرَهُم أو تغلبَهُم **أسلحَتُهُ القتاليَّة، وَحِيَلِهِ الشرِّيرة**، وسوفَ ترتفع رايات انتصار المحبَّة عاليَةٍ. وكما أنَّ أوتار القيثارة كثيرة، لكنها مشدودة في توافق، وتُصدِر نغماتٍ عَذبة ورائعة، هكذا الذين لهم رؤية واحدة، يعزفون لحن المحبَّة الرَّائع. لذلك فإنَّ الرسول بولس يُوصينا أنْ نفكِّرَ في ذلك. ليتفهَّم الإنسان علاقته بالآخر، وليعتَبِرَه أسمى منه، حتى لا تنهدم المحبَّة، بسبب المجدِ الباطل، بل ليُقَدِّم الواحد الكرامة للآخر، بدلًا من نفسِهِ، وليقضي الجميع حياتهم في توافق وانسجام، هكذا يقول: «بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (غلا ٥:١٣-١٤). مَنْ يُحِب ليس فقط لا يُريد أنْ يَأْمُر، بل أنْ يُأْتَمَر، يُريد أن يَخدُم، لا أنْ يُخدَم، لأنَّه يُريدُ أن يكون دائمًا لمن يُحِب، على أنْ يكون مدينًا له.

الذي يحبُّ ويريدُ أنْ يخدِمَ الآخرينَ، لا يُريد أنْ يبدو وكأنَّهُ يُقَدِّم خَدَمات، فالأولويَّة عنده، هي فِعل الخير وتقديم الإحسانات، ولكنه يحرص على ألَّا يكون ذلك كلَّهُ ظاهرًا، يفعل كُلَّ شيء في الخفاءِ. ربَّما لا يُدرِكُ البعض ما أقولُهُ، ولكي أجعل هذا الكلام واضحًا، سأطرحُ المثال التالي: **اللهُ مُحبُّ البشر، أراد أنْ يُقَدِّمَ ابنَهُ وحيد الجنس** ذبيحةً لأجلنا، وحتَّى لا يبدو أنَّه يُقَدِّمُ خدمةً، بل يُسَدِّد دَينًا، وهذا إعلان عن محبَّته الفائقة نحو البَشَر. أعرف أنَّ ما قلته يبدو للكثيرين وكأنَّه أمر غريب. والسبب أنَّني أتحدَّث الآن عن موضوع قائم في السَّماء. كما لو كنتُ أتحدَّث عن نباتٍ ما يُزرَع في الهند، وليسَ لأحد خبرةٌ في زراعته، فمهما تحدثنا، لن نستطيع أن نَصِفَهُ بالكلام، مهما أسهبنا في الحديث عن هذا الأمر. هكذا الآن مهما قلتُ وتكلّمت، فلن يكون الكلام واضحًا لدى البعض. لأنَّ البعض لا يفهم ما قيل. خاصةً وأنَّ هذا الزرع ينبت في السماء (زرع المحبَّة)، لكن إن أردنا فمن الممكن لنا أن نُبذِر بذاره. لذلك فقد تعلَّمنا أنْ نُخاطب **الآب السماوي** ونقول: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ.» (متى ٦:١٠).

المحبّة وعمل الرحمة:

إذًا ينبغي أنْ نؤمنَ ونُصَدِّقَ، أنَّه بإمكاننا أنْ نكتسبَ مثل هذا الصلاح، وبكلِّ تأكيد هذا أمرٌ ممكن، إنْ كانت نفوسنا مُتَيَقِّظة على الدوام، وليسَ هذا فقط، بل يمكننا أنْ نُمارس كُلَّ فضيلة، إنْ كانت نفوسنا هكذا يَقِظَة. لأنَّنا مخلوقون بإرادة حُرَّة ذاتيَّة، وغير خاضعين **لمصيرٍ أعمى إجباري**، كما يعتقد البعض، فسواء أردنا أم لم نُرِد، فنحنُ مُخَيَّرون إمَّا لفعل الخير، أو فعل الشَّر، لذلك فإنَّ **الله** وَعَدَ بملكوت السموات، وهدَّدَ بالعقاب، فهناك ثمنٌ يُدفَع لكلِّ شيء يُمارَس بحريَّة، خيرًا كانَ أم شرًّا. ما كان **لله** أن يَضَع وصايا، وأنْ يُقَدِّم نصائح، إنْ كُنَّا **مُقَيَّدين بسلسلة المصير الأعمى**. لكننا ونحنُ أحرار، وبملك إرادتنا، فإنَّنا قد نصير أشرارًا بسبب عدم اكتراثنا، أو أخيارًا بسبب **الاهتمام** الشديد بمحبَّة الآخر، لذلك فقد **أوجَدَ الله** هذه الأمور: الخوف من الجحيم، وانتظار ملكوت **الله** ، كأدوية لإصلاحِنا، وتغييرنا، حتى يكون لنا فكرٌ مُستنيرٌ. فمن الواضح أنَّه **لا المصير الأعمى، ولا البحث في الطالع (الأبراج)، ولا الخَلق، ولا النجوم المداريَّة**، هي التي تقودنا، وتوَجِّه حياتنا. فإنْ كان كُلُّ ما يحدث يعتمد على هذه الأشياء وليسَ على إرادة البَشَر، فلماذا تَجلِد العبد الذي يسرق؟ ولماذا تَجُرُّ المرأة التي سقطت في الزنا إلى المحكمة؟ ولماذا تخجل، كما لو كانت تفعل ما لا يُسمح بِهِ؟ ألَا تتألَّم عندما يتهمونَكَ بإنَّكَ زوجٌ غير مؤمن، أو زانٍ، أو ثَمِلٌ، أو أيُّ شيءٍ مثل هذا، معتبرًا إنَّ هذه إهانة؟ وإن لم يَكُن في اختيارِكَ الحُرّ أن تُخطىء، فإنَّ ما حدَثَ لم يَكُن له أنْ يُشَكِّلَ إهانةً. لكن الآن، وأنتَ لا

تُسامِح مَن يُخطِىء، بل وأنتَ نفسُكَ تخجل من نفسَك عندما ترتكب أفعالًا شرِّيرة، وتُحاول أنْ تحتفظَ بها سِرًّا، حتى لا يعلم أحدٌ عنها شيئًا، وتعتبر أنَّ كُلَّ مَنْ يُكلِّمُكَ عن هذه الأمور، أنَّهُ يُهينُكَ. وهكذا تعترف من خلالِ كُلِّ هذه الطُرُق، أنَّ حياتنا غير مرتبطة بالجبرِ والإلزام، بل هي مُكَرَّمة بحريَّة الإرادة. لأنَّنا نعرف كيف نُسامح أولئك الذين هُم تحت قهرٍ أو إجبار، فلو أنَّ هناك شخصًا قد **أَسَرَهُ الشيطان**، وقامَ بتمزيقِ ملابسنا، أو اعتدى علينا بالضَّربِ، فليسَ فقط لا نُعاقبُهُ، بل وسنَشفِق عليه أيضًا، ونُسامحه. تُرى لماذا؟ لأنَّ حُريَّة الإرادة عنده مفقودة، إذِ **الشيطان** هو الذي جعله يفعل كُلَّ هذا. هكذا فلو أنَّ الخطايا الأُخرى قد حدثت بسبب **ضرورات المصير الأعمى**، فإنَّنا سَنصفَح عنها. ولأنَّنا نعرف أنها ليست نتيجة إجبارٍ أو إكراه، لذلك لا نُسامح، فأصحاب العمل لا يصفحون عن خطأ العمال حين يُخطئون، والأزواج لا يُسامحون الزوجات عن سقطاتهِنَّ، والزوجات لا يُسامحنَ الأزواج عن إنحرافهم، والآباء لا يصفحون عن زلَّات أبنائهم، والمعلِّمون لا يُسامحون تلاميذهم عن أخطائهم، والحُكَّام لا يُسامحون المحكومين عن جرائمهم، بل نصيرُ فاحصين قُساة، ومُعاقبين لِكُلِّ مَن تجَرَّأَ على فعل الخطيَّة، ونرفع قضايا، ونفرض عقوبات، ونتنازع ونفعل كُلَّ شيء، حتى نُخلِّصهم من الشرور. هكذا فإنَّنا فيما يخصُّ أبناءَنا، نُحضِر لهم معلِّمين ومُربِّين لتعليمهم، ونُرسلهم إلى المدارس، ونُهددهم إنْ لم يسلكوا باستقامةٍ، ونؤدبهم، ونستخدم وسائل مُساعدة أُخرى، حتى يصيروا صالحين. إذًا لماذا يحتاج الأمرُ لِجُهدٍ وتعب، حتى تتحَقَّق الفضيلة؟ لأنَّه إنْ كان هناك شخصٌ مصيره أنْ يصير صالحًا، فإنَّ مثل هذا الإنسان، حتَّى وإنْ غَطَّ في نومٍ عميق، سيكون صالحًا. لكننا لا نستطيع بالطبع أنْ نقول عن إنسانٍ أنَّهُ شِرِّير: إنْ كانت الظروف هي التي دفعته لفعل الشَّر. مثل **المأسور بأرواحٍ شرِّيرة**، وسنستخدم نفس المثل مرَّةً أُخرى، فحتى وإنْ أهانَ، أو ضَرَبَ، فلن نقول عنه أنّه شَتَّام، ولن نُحاسبه على هذا الفعل، لأنَّه إنَّما يفعل ذلك تحت **تأثير ضغط الشيطان**. هكذا الإنسان الشِّرير لو أنَّ المصير الأعمى قد دَفَعَهُ لذلك، فينبغي ألَّا نصفَهُ بأنَّهُ شرِّير، فلو أنَّنا اعتبرنا هذا أمرًا طبيعيًّا، فستُصبح كلُّ أُمور حياتنا مُلتَبِسة ومُختلطة، ولن يَعُد هناك شيء يُدعى فضيلة ولا رذيلة، ولا فنون، ولا قوانين، ولا أيُّ شيءٍ آخر من الأمور المماثلة؛ ومن ناحية أُخرى، لماذا نهتم كُلَّ هذا **الاهتمام** الكبير، كما لو كُنَّا قد مَرِضنا، فَنُنفِق أموالًا، ونستدعي أطباء، ونأخذ أدوية، ونبتعد عن بعض الأطعمة، ولا نُشبِع رغباتنا؟ لأنَّه لو كانت الصِّحة والمرض، تعتمدان على **الحظِّ الأعمى**، سيكون إنفاقنا للمالِ امرًا لا لزومَ له، ولا ضرورة لاستدعاء الطبيب، ولا لأن يتَّبع المريض نظامًا خاصًّا ودقيقًا في تناول الطعام. لكن الآن بالإضافة للأمورِ الأخرى، نتأكَّد أنَّه لا شيء من كُلِّ هذا يخلو من ضرورةٍ مُلِحَّةٍ لوجوده، بل بالأحرى يجب ألَّا تكون أمور حياتنا، مرتبطةً **بخرافة الحظِّ أو المصير الأعمى**. لأنَّ حياتنا ليست موضوعة تحت أيِّ إكراه أوْ إجبار، بل كُلُّ شيء كما سبَقَ وقُلتُ، يخضع لحريَّة الإرادة، لقد كرَّم الله الإنسان بهذه الحريَّة.

والمرأة هي أيضًا صورة الله - للقديس باسيليوس الكبير:

تأمَّل جيِّدًا في كلام الرَّب: «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.» (تك١: ٢٧). فالمرأة حسب فِكرِ الله هي أيضًا خُلِقَت على صورة الله، فالرجل والمرأة يتشابهان بالطبيعة، وبالفضيلة وبالمكافأة وبالقصَاص. فلا تَقُلِ المرأة إنِّي ضعيفة؛ فالضعف هو ميزة الجسد ، أمَّا القوَّة فهي ميزة النفس.

الكتاب المُقَدَّس يذكر دائمًا الرَجُل، ولا يذكر المرأة إلَّا قليلًا. فهل هذا يا تُرى هو نَبْذٌ للمرأةِ وَحَطٌّ لكرامتها؟ **حاشا**.

إنَّ الطبيعة هي واحدة عند الرَجُل وعند المرأة، ولذلك أعمالهما هي واحدة أيضًا. والقصاص هو واحد. والكتاب المقدَّس يذكر الرجُل لأنَّهُ تَسْمِيَةُ الكُلِّ بِاسم الجزء المهمّ.

فالمرأة لم تأخذ مِنَ الرَجُل اللحم فقط بل أيضًا العظم. فهي أَخذت إذن مِنَ الرجل القدرة والصبر وشِدَّة المراس.

(عظة عن أصل الإنسان ١:١٨)

تابع من صفحة ١٤

والحبّ والفرح والسلام، ترانيم الحياة الأبديَّة. وتستمرُّ الترانيم ولا تتوَقَّف، إلى أنْ تلتحم أصواتنا مع أصوات الخورس الكبير في السَّماء، مرنِّمين أناشيد الحَمدِ للحَمَلِ إلى الأبد وإلى أبدِ الآبدين.

● **صلاة:**

نَشكُرُكَ يا ربُّ، لأنَّكَ وضعتَ ترنيمة في قلوبنا، ترنيمة حُبِّكَ، ترنيمة قيامتك، ترنيمة وجودك معنا، ترنيمة الغفران والحياةِ الأبديَّة. امنحنا في لحظات الحياة المُظلمة والقاتمة، أنْ نُرَنِّم لكَ الترانيم كما رَنَّمَ بولُس وسيلا في السِّجن في منتصف الليل. لأنَّنا نعرف يا ربُّ، أنَّهُ مِنْ خلال قيامتك المجيدة الظافرة وغلبتك للشيطان وسلاطين الظلمة، قد غلبنا نحنُ أيضًا العالَمَ. لقد حوَّلتَ منتصف ليلنا **القاتم**، إلى فَجرٍ وَضَّاء، بَهِيٍّ ومُشرق، **وهزيمتنا** إلى نُصرة وغَلَبَةٍ وَظَفَرٍ، **ويأسنا** إلى رجاء، وَأَملٍ واشتياق. آمين.



إنَّ الحياةَ ليست مثل زهرة عَبَّاد الشَّمس، تأخذُ اتجاهها دائمًا نحو الشمس، ولكنها مثل زهرة البنفسج، أحيانًا تكون في الظِّلِ، وأحيانًا في الشَّمسِ.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثلاثون

(تتمة من العدد السَّابق)



وفكَّرَ **نكتاريوس** بأخواته المتواضعات في إيچينا وامتلأت عيناهُ بالدموع، وَحزِنَ لأجلِ هؤلاء الأغنياء الذين يجهلون السِّرَّ الحاضر في كُلِّ مكان في هذا العالم، حيث الحياةُ جهاد. ولم يكُن أحدٌ في ذلك البيت يتصوَّر بأنَّ خارج جُدران القيلا وبالقربِ منها، يعيشُ أشخاص في الفقر حياة متقشِّفة قاتمة لا طَعمَ لها، حيث كُلُّ لقمةِ خبزٍ تمثِّل حُزنًا صغيرًا في القلب. وكتَبَ من جديد إلى إيچينا:

«لقد عَلِمتُ أنَّكُنَّ تعرَّضتُنَّ إلى تجربة، فَذُعِرتُنَّ كالصيصان الصغيرة. إنَّها لمُصيبة كُبرى أن تَذعَرنَ بسهولةٍ، وتَقَعنَ سريعًا في اليأسِ والقُنوط. لَنْ تتمَكَّنَّ من التوصُّل إلى مستوى الكمال من دونِ الصَبر في التجارب. يجب أن تُحافِظنَ على صَبرِكُنَّ حتى عندما تَتَلَقَيْنَ الضَرَبات. فالرَّبُّ معكُنَّ، وأنتُنَّ تُرَتِّلْنَ كلَّ يوم: «**معنا هو الله**»، ولكن يبدو أنَّكُنَّ لم تَفْهَمْنَ تمامًا معنى هذا النَصِّ. أريدُكُنَّ أنْ تَقْرَأْنَ هذا النَصَّ مرَّةً واحدة بإمعان، لكي تَفهَمْنَهُ جيِّدًا، وَأُؤَكِّدُ لَكُنَّ بأنَّكُنَّ سَتَجِدنَ فيهِ سلامَ نفوسِكُنَّ. إعلَمْنَ بأنَّ العدوَّ سيُطلِقُ قوَّاتِهِ عَلَيْكُنَّ، ولكن أَنْتُنَّ تَابِعْنَ الترتيل «**معنا هو الله**»، فلا يستطيع العدوّ أنْ يُخيفَنا، ولا أن يجعلنا نضطَّرب، «**لأنَّ الله معنا**» الخ ... تَشَدَّدْنَ ،اصمُدنَ، لأنَّ الله مَعَكُنَّ. فإذا صَبرتُنَّ حتى النهاية، سَتُكتَب أسماؤُكُنَّ في سفر الحياة. وأُريدُ أن أعرف منكُنَّ قريبًا أنَّ النعمة الإلهيَّة قد عادت إليكُنَ، وأنَّكُنَّ وَجَدْتُنَّ السَّلام ...»

بعد موافقة المتروبوليت ثيوكليطُس، ألبَسَ **نكتاريوس** الفتيات الثوب الرهباني. فاتَّخَذَت كريزنتيا اسم كساني، وأصبحت كاترينا حنَّة، وأنجليك أنوقنطيا. وصارت هيلانة تُدعى أليصابات، وماريًّا سنكليتيكي ... وكان هذا كلَّ ما تَبَقَّى **لنكتاريوس** لِيُقَدِّمَهُ للرَّبِّ تعبيرًا عن شُكرِهِ: هذا الدير الناشيء بمثابَةِ زهرةٍ متواضعة ...

وقدَّمت الأرملة ماريغو كالافري الهِبَةَ التي وعَدَت بها. فباعت حقلًا من حقولها ووهبت المال الذي أتاحَ تشييد حُجرَتين إلى يمين كنيسة النبع المُحيي الصغيرة. فصارَ بمقدورِ **نكتاريوس** أن يسكُنَ في البِنَاءِ الجديد كلَّما أتى بزيارَةٍ، بعد أنْ قَبِلَ كثيرًا ضيافة السيِّدة كريس بافلينيري، والسِّد جان سيماندونيس الذي يُضارع إبراهيم في كَرَمِهِ، وهو أحد كبار ملَّاكي الأراضي. وسوفَ يذكُرهما دائِمًا في صَلواته على مذبح الرَّبِّ.

وكان عددٌ من كُتُبِهِ قد نُشِرَ، فراحَ اللاهوتيُّون يتكلَّمون عنها، وصارت تتوَفَّر في المكتبات الإكليريكيَّة وفي الأديرة، وأيضًا عند أفرادٍ عِلمانيين. فليتبارك الرَّبُّ !

وكانَ **نكتاريوس** يكتُبُ بِلُغَةٍ علميَّة، اللغة اليونانيَّة «الأكاديميَّة» الفُصحَى. وقد تَجَنَّبَ استعمال اللغة العاميَّة بسبب احتوائها على الكثير من التعابير التي كانت تُفَسَّر بِشَكلٍ خاطىء في ذلك العَصر. في جميع الأحوال كان مُعتادًا على الكتابة وعلى التَّكَلُّم بهذه الطريقة؛ فَضلًا عن أنَّ كُتُبَهُ كانت مُعَدَّة للاستعمال كمراجِع من قِبَلِ الكهنة والرُهبان المُثَقَّفين. كان يتوَجَّه إلى الشعب في موعوظاته، وكان باستطاعة أيِّ كاهنٍ على درجةٍ بسيطة من العِلمِ أنْ يَجِدَ في كُتُبِهِ إلهامًا جديدًا وتَوَجُّهًا جديدًا للوَعْظِ.

ولم تَبقَ من كتاب «الخُلق المسيحي» غيرُ بعضِ النُسَخ القليلة جدًّا، بينما بَقِيَت نُسَخ أكثر من كتاب «تعليم الدين الإلهي» وكتاب «الخريستولوجيا»، بخلافِ «التاريخ الإنجيلي أو تناغم الأناجيل» الذي بقيت منه نُسخ عديدة. فَبَقِيت عدَّة نُسخ قليلة من الدراسات التي وضعها مثل: « حول والدة الإله الكليَّة القداسة والدائمة البتوليَّةِ مريم» ، و «حول قدِّيسي الرَّبّ»، و «في سِرِّ الإفخارستيَّا الإلهيَّة»، و «في النَدَم والاعتراف». وكان الكتاب الجديد الذي نَفَدَ تمامًا هو دراسته المُعَمَّقة حول «خلود الروح».

وقد تركت له كُلُّ هذه الأعمال المنشورة بعض الأرباح القليلة، وبدأ اللاهوتيُّون والكهنة يبحثون عنها. أمَّا المؤَلَّف بعنوان: «ملَخَّص الكتاب المقدَّس المُوحَى به من الرَّبِّ»، للرَّاهب الغلاطي من لاڤرا القديس سابا، فكان على وشَكِ أن يوضَع في الأسواق. ونَجد بين صفحات هذا الكتاب الخلاصيّة فصلًا بعنوان: «في الصلاةِ والاعتراف».

وقد كَتَبَ على الصفحةِ الأولى: «تمَّ طبع هذا الكتاب من قِبَل نكتاريوس كيفالاس، مدير مدرسة ريزاريو الاكليريكيَّة، من أجلِ تَقَدُّم المسيحيِّين الرُّوحي.»

ولم يَكُن **نكتاريوس** يعرف ما آلت إليه حساباته مع الناشر بارسكيڤا ليونيس. فكلُّ ما يحصل عليه كان يُسَلِّمه إلى كوستي ساكوبولوس. وكان على هذا الشاب المسكين أن يتدَبَّر أمره مع الناشر.

تبارَكَ الرَّبُّ المُحسِن الذي سَمَحَ بأنَّ التعب الذي تكَبَّدَهُ لِنَشرِ الكلمة الإلهيَّة لم يَكُن عقيمًا، وأنَّ الكُتُب التي نَشَرَها لم تبقَ لتتعَفَّن في الأدراج وعلى رفوف المكتبات. وإذا أراد الله، فقد يستفيد مِنْها الجيل القادم أيضًا.

(يتبع)



٥٧- ما هي الصلاة التي أعطانا السيِّد؟ أعطانا الصلاة الربيَّة، **الأبانا**.

٥٨- ما هي الصلاة الربيَّة؟

إنّها الصلاة التي أعطاها **المخلِّص يسوع المسيح** لتلاميذه ورسله القديسين، ومن خلالها أعطانا الشكل والطريقة اللذين ينبغي اتِّباعهما في صلاتنا وما ينبغي أنْ نطلبه قبل كُلِّ شيء.

٥٩- ما هو شكل الصلاة الربيَّة؟

إنَّهُ التالي: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. **خُبْزَنَا الجوهري أَعْطِنَا الْيَوْمَ**. واتْرُكْ لَنَا ما عَلينَا، كَمَا نترُكُ نحنُ لِمَن لنا عليه. وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ.» «لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ» (متى ٦:٩-١٣).

٦٠- ما هو عدد أجزاء الصلاة الربيَّة؟

هناك ثلاثة أجزاء: **المقدمة، صُلْبُ الموضوع، والخاتمة**.

٦١- أيٌّ هي المقدمة، وأيٌّ هي الخاتمة وأيٌّ هو صُلب الموضوع؟

المقدمة هي «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»، «لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ» هي الخاتمة، وكل ما بينهما هو الموضوع.

٦٢- ماذا نتعلّم من مناداة «**الأب**»؟

بمناداة «الأب» يتعلّم المسيحيّ عن العلاقة **بالله كابنٍ لله** تمَّ تبنيه بالنعمة الإلهيَّة **بابن الله** الذي صار إنسانًا، اي **مخلّصنا المسيح**. إذًا، « أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»» (غل ٤:٦). يقول الإنجيلي يوحنا: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ» (يوحنا ١:١٢-١٣).

٦٣- ماذا نتعلّم من مناداتنا «**أبانا**»؟

بهذه المناداة نتعلّم أنّنا إخوة بالرُّوح، كأبناء لنفسِ الأَبِ، وأننا مدينون بأنْ نحب بعضنا بعضًا كإخوة. «إنّه يربّينا لنقدّم صلاتنا مشتركة من أجل ذواتنا ومن أجل إخوتنا» (يوحنا الذهبيّ الفم).

٦٤- ماذا نتعلّم من عبارة «**الذي في السماوات**»؟

نتعلّم أنَّ إلهنا وأبانا، الذي هو خالق كُلِّ الكون، يسكن في السماوات، وأنَّ « السماوات هي عرشه، والأرض هي مَوْطِئُ قدميه.» (مزمور ١٠٣:١٨). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «انتبهوا للمعنى الدقيق للعبارة، كيف ينصحنا..» قيل أنَّهُ يسكن في السَّماوات، لأنَّ السماوات تُذيع مجد الله. مكان سكنى الله هو أيضًا قلب الإنسان، وهذا ما كشفه لنا السيِّد عندما قال: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً.» (يوحنا ١٤:٢٣).

التوسّل الأول: «ليتقدّس اسمك».

٦٥- ماذا نتعلّم بهذا التوسّل؟

يعلّمنا التوسّل الأول أنَّ أوّل ما ينبغي السعي إليه هو مجد اسم الله عن طريق التآزر الإلهي. وكما يلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم، العبارة المستعملة هي «**ليتقدّس**» بدلًا من «ليَتمجَّد». نتعلّم من هذه الجملة أنَّ علينا أنْ نتبعَ الفضيلة في حياتنا، حتّى بهذا نُمجِّد أبانا السماوي (الذهبي الفم، كيف نتصرّف بطريقة ترضي الله). لهذا السبب بالتحديد أوصانا السيِّد: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى ٥:١٦). اسم الله مُقَدَّس وفائق القداسة «لأن الله قدوس وكليّ القداسة، وفائق القداسة» مقارنة بكل القديسين. هذه هي بالتحديد الترنيمة التي يرفعها السيرافيم بأصوات لا تَفْتُرُ: قدوس قدوس قدوس، رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك» (الذهبي الفم). عندما يقول مَنْ ثمَّ عبارة «في السَّماوات»: « فإنّه لا يحصر الله فقط هناك، بل هو يقود الإنسان المصلّي أعلى من الأرض، ويركِّزه على سهول أسمى وعلى السُكنَى فوق» (الذهبي الفم).

التوسّل الثاني: «ليأتِ ملكوتك»

٦٦- ماذا نتعلَّم من التضرُّع أو التوسُّل الثاني؟

نتعلّم أنَّهُ علينا أنْ نسعى أولًا إلى ملكوت الله وبِرِّه، بحسب ما يأمرنا في تعليم آخر، حيث يقول إنَّ كلَّ ما نحتاج إليه من الأشياء الأخرى يُضاف لنا (متى٦:٣٣). بهذا التضرّع الثاني نسأل أنْ يُستعاد ملكوت الله بيننا، وهذا كان غاية مخلّصنا، حتّى **الخطيئة** لا تسود فيما بيننا من بعد، كما علَّمنا بولس بقوله: «إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ» (رومية ٦:١٢). لهذا السبب يقول

الذهبي الفم أيضًا: «لأنَّنا كنَّا مظلومين بأهواء الجسد، وتعرّضنا لآلاف من هجمات التجربة، فقد كنَّا بحاجة إلى ملكوت الله، حتى لا تسود الخطيئة على جسدنا المائت، ولا نطيعه في شهواته، ولا نقدّم أعضاء جسدنا للخطيئة كمستودع للظلم..» ملكوت الله هذا على الأرض هو مجموع الخيرات الأخلاقيَّة، تحديد البشرية إلى ما هي عليه بنور الإنجيل، بل هو: «بِرٌّ وسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ» (رومية ١٤: ١٧).

التوسل الثالث «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»

٦٧- ما هي مشيئة الله؟

المشيئة الأوليَّة لله هي أنْ نؤمن **بابن الله** ونُطيع كلماته. **الله** نفسه أعلمنا بذلك بالصوت الذي اتى منَ السَّماء وأعلن ما يلي: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت٣: ١٧). إنَّ تحقيق هذه المشيئة يستتبع تحقيق كُلِّ الرغبات الإلهيَّة الأخرى.

٦٨- إذًا ما الذي نطلبه من الله في التوسّل الثالث؟

نسأل **الله** أنْ ينيرَ كُلَّ العالم، لكي يأتوا إلى معرفته، ويؤمنوا **بابن الله** ويطيعوه، وهكذا تتحقَّق الإرادة الإلهيَّة على الأرض بالبشر، كما هي محقَّقة بالملائكة في السماء، فيتمجَّد الإله الحقيقي، المثلَّث الأقانيم، على الأرض كما هو ممجد في السَّماء، وتسود **مملكة الله** على الأرض كما تسود في السَّماء، وتتمتع البشرية بالحياة الأبديَّة.

٦٩- ماذا يقول المخلّص عن الإرادة الإلهيَّة؟

إنّه يقول ما يلي: «لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ... وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.» (يوحنا ٦: ٤٠، ١٧: ٣).

التوسّل الرابع «خُبْزَنَا الجوهري أَعْطِنَا الْيَوْمَ.»

٧٠- ما الذي نطلبه في التوسُّل الرابع؟

يعلِّمنا المخلِّص من خلال التوسّل الرابع أن نطلب **من الله** الأشياء الضرورية لمعيشتنا. منْ ثمَّ، إذ قد علَّمنا أنْ نطلبَ الأمور الروحيَّة، يتابع ليشدِّد على أنَّ علينا أن نطلب **من الله** كل ما هو ضروري لمعيشتنا. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : أنت يا مَن تبني شجاعتك على الله، اطلب فقط غذاءك اليومي، واترك له الاهتمام بالغد، على ما يقول داود المبارَك: «أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ.» (مزمور ٥٥: ٢٢) إذن، بحسب **الآباء القديسين**، فإننا بهذه الطلب، نطلب قبل كُلِّ شيء الخبز الرُّوحي الذي هو **المسيح**. «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ».» (مت ٤: ٤). يقدِّم **المسيح** ذاته لنا (في القداس الإلهي) **بكلمته وبجسده ودمه (الإفخارستيَّا التي هي دواء الخلود)**.

التوسّل الخامس «واتْرُكْ لَنَا ما عَلَينَا، كَمَا نترُكُ نحنُ لِمَن لنا عليه.»

٧١- ما الذي نطلبه بالتوسّل الخامس؟

بالتوسّل الخامس نتعلَّم انْ نطلب **من الله** المغفرة عن خطايانا، لأنها تخرجنا من ملكوت الله. وبما أنَّنا في مطلق الأحوال مُلزَمون على المساهمة في استعادة ملكوت الله على الأرض، وبما أنَّ الذين أخطئوا إلينا أخطئوا إلى الله وتغرَّبوا عن ملكوته، نحن ملزَمون بالغفران لهم وبألَّا نحسب ما لنا عندهم، حتّى يغفر **الله** لهم ونُساهِم في استعادة **ملكوت الله** على الأرض. يعلِّمنا مخلِّصنا تعليمًا آخرَ يُظهر أنَّ غفران ما على مَن لهم علينا شيء، هو شيء متوقَّع إذ يقول: « فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (متى ٦: ١٤-١٥). وبالطبع، يسأل **المخلِّص** الأمر نفسه ممن لهم علينا: « فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ.» (متى ٥: ٢٣-٢٥). غاية هذا التوسُّل الخامس هي استعادة ملكوت الله على الأرض عن طريق السَّلام. هذا منصوص عليه (محدَّد) في قول الرسول بولس: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ.» (رومية ١٢: ١٨). علينا أنْ ننتبه إلى أنَّ خطايانا تُسمَّى **«ما علينا»** كونها ديون، فبحُكْمِ أنها **أعمال ظلم** فهي تجعل مُرْتَكِبَهَا مديونًا للذي وقع تحتها.

التوسلان السادس والسابع «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ.»

٧٢- ما الذي نتعلّمه في هذين التوسلين الأخيرين؟

بالتوسل السادس نتعلّم أنْ نطلب **من الله** ألَّا يأذن **للشيطان الخبيث** بأنْ يجرِّبنا فوق طاقتنا، كما أنْ يسود علينا. وفي التوسل السابع نطلب أنْ يخلّصنا **من الشرير** الذي يهاجمنا بطريقة غادرة ويرمي علينا سهامًا ملتهبة.

الخاتمة «لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»

٧٣- ماذا نتعلّم من الخاتمة؟

بالخاتمة نعترف بأنَّ **الآب** السماوي الذي اسْتَدْعَيْنَاهُ هو مَلِكُ السماوات القادر الكلي القُوَّة المَمجَّد الذي بيده كل الأمور والذي يستطيع ويقدر أنْ يستجيبَ لكل توسلاتنا.

٧٤- ماذا يقول السيِّد في نهاية الصلاة عن ترك خطايا مَن لنا عليهم؟

«فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (متى ٦: ١٤-١٥).

٧٥- ما الذي يعبِّر عنه السيِّد بهذا التفكير؟

إنّه يعبّر عن الشرط المُطلَق المتعلِّق بالصلاة الربِّيّة.

٧٦- إلامَ تشير الأمور المذكورة أعلاه؟

إنّها تشير إلى الرجاء الذي ينبغي امتلاكه في علاقتنا **مع الله**.

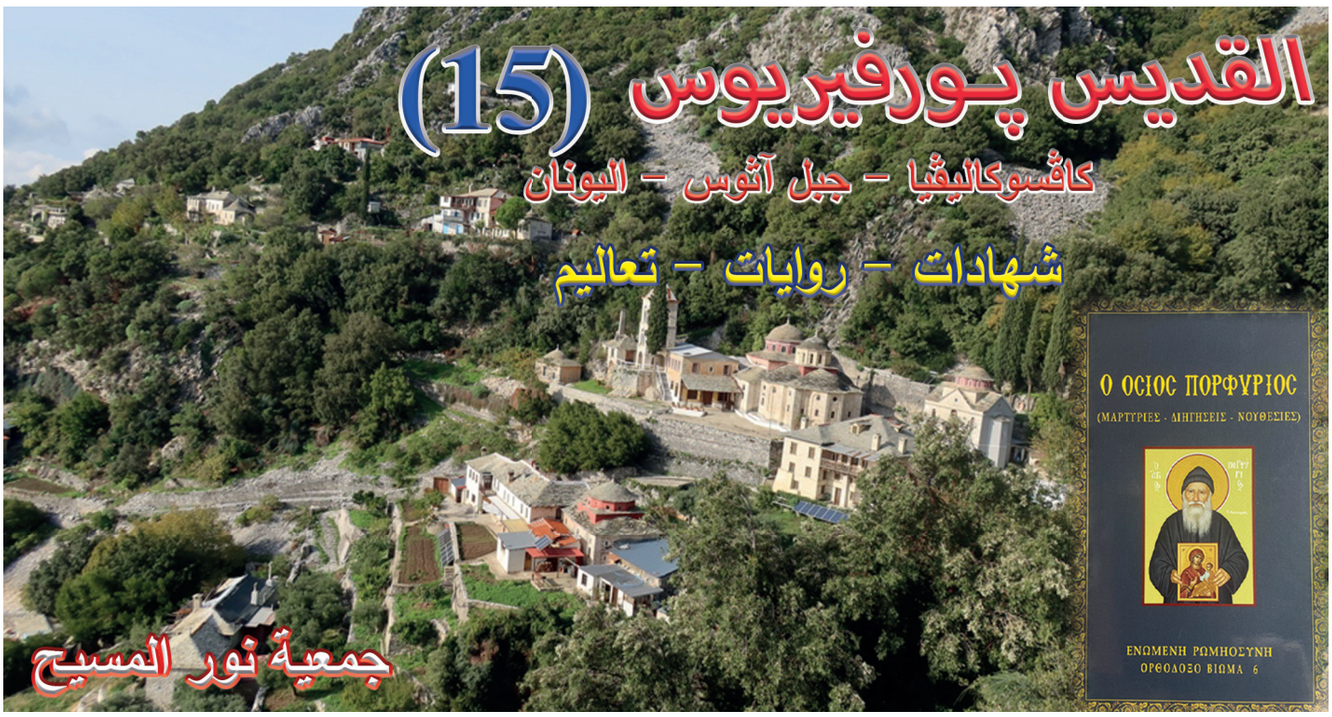
٧٧- إلامَ يشير هذا التعليم وما هي نقطته المركزية؟

إنَّهُ يشير إلى كمال خُلُق أتْبَاع السيِّد ونقطته المركزيّة هي الأُسس الأخلاقيَّة لناموس الإنجيل.

٧٨- أين يبدأ المخلّص ليطوِّر تعليمه؟ يبدأ بالصوم.

٧٩- أيمكن أنْ نفهم السَّبب الذي جعل السيِّد يبدأ من الصوم؟

بالتأكيد. بدأ المخلِّص من الصَّوم لأنَّه انتهى بالصلاة، والصوم والصلاة مرتبطان بشدَّة. فالصَّوم المقدّس الذي يُتَّبَع لتطهير القلب ورفع الفكر محرِّكُهُ هو الصلاة والعبادة النقيَّة لله.



(تتمة من العدد السابق): وفي مرَّةٍ أُخرى، ذهبتُ بمرافقة المغبوطة اليروندِيسا، ثانيةً إلى الشيخ پورفيريوس، وقد سألته بخصوص أَمرٍ وموضوعٍ يُشغلني، وبالأصح يُشغل فكري وخيالي كثيرًا، ذلك وأنَّ اليروندِيسا الآن أصبحت بالغة في العمر، وتعاني من التعب والإرهاق بشكلٍ متواصل، فيكفيها من المسؤوليَّة التي تقوم بها سواءً نحو الدير أو نحو دار الأيتام في جزيرة رودس، وكون اليروندِيسا تعاني من الإعياء والتعب، فقد يصعب عليها تقديم المساعدة والإرشاد للأخوات الراهبات بشكلٍ منتظم. الأمر الذي جعل الأخوات المجيء إلى قلايتي لطلب العون والمساعدة، كونهنَ يثقنَ بي جدًّا، فيخبرونني بأمورٍ تهمُهنَّ، أو عندما تواجهُهنَّ مشاكل معيّنة، يطلبن مساعدتي والأخذ برأيي، فَيحصُلْنَ على الهدوء والسكينة والراحة، هذه الأمور لم تكن مجهولة بالنسبة إلى اليورنديسا، لا بل كانت تعلم بهذا حقًّا.

ولكن لأنَّني لا أملك الكثير من الوقت، وَلَدَيَّ حاجةٌ مُلِحَّةٌ لإتمام فروضي الكنسيَّة، وعندما كنتُ أعود إلى قلايتي، لإتمام الصلاة وقضاء ساعة من العُزلة والخلوة والانفراد. (إنها ساعة ما بين الساعة الخامسة والنصف إلى الساعة السادسة والنصف مساءً، بعد صلاة الغروب، كما حدَّدَ ذلك وقرَّره الشيخ أمفيلوخيوس رئيس دير بشارة العذراء، ديرنا في بطمس، أنْ نخصِّصه لدراسة الكلمة الإلهيَّة، والصلاة الهدوئيَّة، وبالأخص فحص الضمير، كلُّ هذا قبل غروب الشمس). كانت الراهبات الأخوات يَفِدنَ ويأتينَ إلى قلايتي، يقرعنَ الباب طلبًا للمعونة والإرشاد، إنَّه أمرٌ لا يُطاق، هكذا كنتُ أشعر بمرارة، وفي الغالب **لم أَكُن أفتح لَهُنَّ**.

كنتُ أقول لنفسي – لكي أُقنع ذاتي – طالما أنَّني لستُ رئيسة الدير، فلا مسؤوليَّة مطلوبةٌ منِّي لأفتح الباب، واسمع كلَّ هذه المشاكل، إذًا أنا خارج هذه المسؤوليَّة: كما قيل في العهد القديم: هل أنا حارسٌ لأخي (تكوين ٤:٩). وكنتُ أستطرد في فكري : طالما يوجد راهبات أُخريات كبيرات في السِّن ولديهن خبرة، يمكن لباقي الراهبات التوجُّه إليهِنَّ، وأخذ النصيحة والإرشاد والحصول على الراحة والطمئنينة، فأنا كيفَ سَأَجد المُتَّسع من الوقت لإتمام الصلاة؟ إذا أَضعتُ وخَسِرتُ هذه الساعة المفروضة عليَّ أصلًا؟ حيثُ أنا في عزلة وانفراد. هكذا طَمأنتُ نفسي، ولم أَكُن أفتح الباب إطلاقًا، وكثيرًا ما رجعت الراهبات حزينات ومغتمات.

سألتُ إذًا **القديس پورفيريوس**، أنَّ ما كنت أعمله كان صحيحًا؟ ؛ لأنَّني في المقابل شعرتُ أنَّ ضميري يُحاسبني ويؤنبني، ذلك أنَّني لم أجعل أُختي في الرهبنة تحظى بالأستشارة والنصيحة، ثمَّ بالراحةِ والهدوء، بسبب تصرُّفي وأُسلوبي الأناني بامتياز، فسبَّبتُ لهنَّ المزيد من الأنزعاج والقلق والتوتُّر.

فأجابني **القديس پورفيريوس**:

– أخبريني يا ابنتي، عندما غادرت الراهبة وهي مُستاءة، هل استطعتِ الاستمرار بالصَّلاة؟. هل صَلَّيتِ؟.

– كلَّا، أجبت الشيخ، لأنَّني ابتدأتُ أُفَكِّرُ أنَّهُ بهذا الأسلوب قد سبَّبتُ الأذى والإساءة لها، لأنَّها أتت لحاجَةٍ مُلِحَّةٍ، وأنا احتقرتها وازدريتُ بها وتجاهلتها، واعتبرتها أَقَلَّ شأنًا من أنْ أفتَحَ لها باب قلايتي، وأسمعها.

– حسنًا !!!، كيف وجدتِ نفسك، يا أُختي **خريستونيمفي**. لو سَمحتِ، فيما يَلِي رجاءً إفتحي باب القلاية عندما تقرع إحدى الراهبات. فما هو الأفضَل: أنْ تُريحي الراهبة من معاناتها ،ممَّا يُقلقُها، أم أنْ تُريحي نفسَكِ أنتِ؟. وهكذا هل أنتِ تُريحينَ المسيح؟. عندما نُريح اخواتنا الراهبات، نفس الشيء فنحنُ نُريح الله نفسه (فيرضى الله عن تصرفنا الروحي السليم نحو الأخوة والأخوات) هكذا أجابني، وبالفعل منذ ذلك الحين اتَّبعتُ نصيحته الأبويَّة الروحانيَّة.

التتمة في العدد القادم



إنَّ الرهبنة بشكلٍ أساسي هي عيش الحياة المسيحيَّة في التزام كامل بإنكار العالم وتكريس الذَّات لله. مِنْ وجهةِ النظر هذه، الرهبنة هي نفسها في كُلِّ مكان، وكُلُّ دير أو إسقيط أو منسك هو مكان متميِّز، مَرْكَز مَرْجَعِي للحياةِ الرهبانيَّة وطريقة الحياة المسيحيَّة. إلى حدٍّ كبير، ما يُقال عن الرهبنة يمكن قوله عن **جبل أثوس**، وما يمكن قوله عن **الجبل المقدس** يمكن قوله عن الرهبنة.

لكن **جبل أثوس** لطالما كان مكانًا فاتنًا، يشدُّ انتباه ليس فقط الأرثوذكسيِّين، بل أيضًا الناس الذين ينتمون إلى أديان أخرى وحتّى غير المؤمنين. هذا يتمّ برهانه من عدد الكتب والمقالات عن **جبل أثوس**، كما من السَّيلِ الذي لا ينقطع منَ الحجَّاجِ والزوار من حول العالم. هذا الافتتان ليس جديدًا، بل على الأكيد هو أعظم في أيامنا منه في السابق وذلك لعدة أسباب.

١) السبب الأول هو أنَّ **جبل أثوس** هو جمهورية مستقلَّة، وعليه هو بمثابة وطن، يقطنه رهبان فقط ومكرَّس بالكليَّة للحياة الرهبانيَّة. بالرغم من أنَّ في كلِّ بلد أرثوذكسي منطقة فيها عدَّة أديار، ما من بلد يجمع **هذا العدد الكبير من الأديار والأساقيط والمناسك**، وهو منطقة يحكمها الرهبان، مع حدود حقيقيَّة تفصله عن البلدان والمناطق المجاورة له. إنَّهُ منطقة محميَّة لا فقط سياسيًا، إداريًّا وجغرافيًّا (كونه شبه جزيرة)، لكن أيضًا روحيًّا كون **جبل أثوس** يسمَّى **«حديقة والدة الإله»** وهو يُعتَبَر مكانًا يخصُّها وهي موجودة فيه بشكل خاص. بهذا، هو بلد يقطنه رهبان بكامله، لا يسمح «بحرية تنقّل الأفراد» التي تطلبها القوانين الأوروبيَّة، لا يسمح بتدفق السيّاح، ولا يُقبل بدخول النساء، بل يمدُّ النسيج الرهباني إلى مدى حدوده الطبيعيَّة والجغرافيَّة. إنَّ **جبل أثوس** هو أرض ليست كغيرها.

٢) ثانيًا، إنَّ **جبل أثوس** هو شهادة لملكوت الله الموجود في ما بيننا الآن.

إنَّ **جبل أثوس** يأوي أكبر عدد من رفات العالم الأرثوذكسي وأكثرها أهميَّة. هذه الرُّفات تجعل كل القديسين المسيحيِّين تقريبًا حاضرين وفاعلين بمعجزاتهم.

جبل أثوس هو نقطة تتركّز فيها الحياة الرهبانيَّة ومكانٌ مُؤاتٍ للقداسة. بعضهم هم معاصرونا ومعروفون في كُلِّ العالم، **كالقديس سلوان الأثوسي، يوسف الهدوئي وأبنائه الروحيِّين، أو القديس باييسيوس**. من خلال قديسيه الكثيرين في الماضي والحاضر، يبدو **جبل أثوس**، بحسب تعبير كاتب المزامير، «الجبل المثمر»، «الجبل الخصِب» «الجبل حيث يرضى الرَّبّ أنْ يحيا وحيث يعيش الى الأبد» (مزمور ٦٧: ١٦-١٧).

٣) ثالثًا، **جبل أثوس** هو مُذَكِّر بالملكوت وإعلان له.

ليس فقط من خلال قديسيه، لكن أيضًا كمكانٍ مُبارك ومؤسَّسة مقدَّسة، يظهِر **جبل أثوس** بشكلٍ نبويّ، عَالمًا آخرَ يعطي معنى للعالم الحاضر. **فأثوس** المدعو أيضًا **الجبل المقدس وحديقة العذراء** هو صورة للفردوس، ومذكِّر بالفردوس الذي فقده أبوانا الأولان، وتصوير رمزي للفردوس الموعود به الأبرار.

أ) يقدّم **جبل أثوس** صورة للطبيعة الفردوسيَّة لأنَّ في تنوُّع المناظر الطبيعيَّة التي تمتد من مستوى البحر إلى علو ألفي متر، حيث **قمة جبل أثوس**، يعيش الكثير من النباتات وأنواع الحيوانات مُشكِّلَة عالمًا صغيرًا يلخِّص العالم. سببٌ آخر هو أنَّ الطبيعة تبقى غير ملموسة ومحميَّة من الاستغلال الاقتصادي والتلوُّث الصِّناعي. إنَّ وجوده في العالم المعاصر هو ذو قيمة نموذجيَّة. إنَّهُ نموذج لعلم البيئة الروحيَّة التي تبرهن تكامُلِيَّة الخليقة التي أوكلها **الله للإنسان** في الأصل لاستعماله وسدِّ حاجاته، فيما هي في الوقت عينه وسيلة للتأمُّل والشكر.

ب) إنَّ مدى **جبل أثوس** يعكس المدى السماوي أيضًا، و يشير إلى مدى مملكة السماوات. على خلاف مساحات كُلِّ البلدان في العالم،

المنقسمة بين **المُقَدَّس والدنِس** وأحيانًا هي دنسة بالكامل، تبدو مساحة **جبل أثوس** مقدسة بالكليَّة، ليس فقط بوجود عددٍ كبير **من الأديار والأساقيط والمناسك والكنائس والمزارات**، بل أيضًا لأنها تقدَّست كلَّها بالقديسين الذين مَرُّوا بكُلِّ هذه الأماكن وملؤوها بأصواتِ صلواتهم، وَبَثُّوا في كل نقطة فيها القوَّة الإلهيَّة التي تشعُّ. في كلّ مَرَّة نسير على ممرٍ في **جبل أثوس**، نكون واثقين بأنَّنا نضع أرجلنا على خُطى قدِّيسين سبقونا هناك. الكثير من الأماكن في الطبيعة تحتفظ بذكرى ظهور **المسيح ووالدة الإله أو القديسين**. ما من دير هنا أو منسك أو مزار أو نبع ماء أو ساقية لا يمكن تفسير وجودها برؤيا سماوية أو معجزة.

ج) ينبغي قول بعض الكلمات أيضًا عن المعنى النَبَوِيِّ للزمان الأثوسي. أحد الأمور ذات التأثير الملموس على زوار **جبل أثوس**، والتي تثير الحيرة إلى حدٍّ ما، هي تغيّر الزمان. **أغلب الأديار تتبع التوقيت البيزنطي**، الذي لم يعد يشير لأي توقيت آخر في أي بقعة من الأرض. يُسَمِي الرُّهبان توقيتنا «الساعة العالمية (*kosmiki ora*)». **التوقيت البيزنطي** ليس مجرد رفات من العصور القديمة، إنَّهُ يُظهر نمطًا آخرَ للوقتِ، وقتًا روحيًّا، مقدَّسًا لأنَّهُ مُكرَّس بالكليَّة لله، مقسمًا ومرتَّبًا ليُلَبِّيَ مشيئتَهُ. إنَّهُ يذكِّرنا بشكلٍ رمزي بالتوقيت السماوي ويعلن زمن الملكوت.

٤) نقطة مهمة رابعة هي حياة الجماعة كما هي مرتبة عبر الجبل ككُلّ وفي كُلِّ ديرٍ على حِدَةٍ، هي دعوة للوحدة بين البشر، وشهادة بأنَّ هذه الوحدة ممكنة في المسيح. **في عالم ممزق بالحروب والعصبيات الوطنية، والصراعات الإثنية والتعصب** فإن هذه الشهادة وهذه الدعوة **هما بالفعل نَبَوِيَّتان**.

إنَّ **جبل أثوس** بأكملِهِ يشهد، ولأجيال كثيرة على العلاقات الحسنة بين الجماعات الآتية من خلفيات إثنية مختلفة التي لا تتعايش بسلام وحسب، بل تعيش بتناغم في رباط المحبَّة.

في رباط المحبة تحكم الحكومة المقدسة **جبل أثوس**، وهي مؤلَّفة من ممثلي الأديار الرئيسيَّة، لا بحسب المبادئ الديموقراطية العالميَّة بل بروح المجمعيَّة المسيحيَّة. كُلُّ دير يقدِّم شهادة تشبه الأخرى، وهو يديره مجلس شيوخ يرأسه رئيس الدير وينتخبه الرهبان.

٥) كنقطة خامسة، تنبغي الإشارة إلى الأدوار الرئيسيَّة التي لعبها **جبل أثوس** في تاريخ الأرثوذكسيَّة، والتي لها اليوم أهمية عظمى: الحفاظ على التقليد والدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي. هذا دور نبويّ لأنَّ في التقليد أنَّ النبيّ هو مَن يُذَكِّر الناس **بإخلاصهم لله، وهو مدافع عن الإيمان في وجه كلّ ما يسعى إلى تبديله أو تَحريفِه.**

في عالم خاضع للتغير بسرعة متزايدة، يعطي **جبل أثوس** مثالًا عن استقرار صورة العالم الإلهي وديمومتها. إنَّ **رُهبان أثوس** محفوظون من العطش إلى التغيير والحركة التي تسبِّب الدُوار اللذين يشغلان الناس السالكين في العالم، وهم مصونون من الضغط الاجتماعي الذي يفرض الالتزام بمختلف الأوجه لنمط حياة المجتمعات الحديثة، وهكذا يحفظون بدقة القوانين الكنسيَّة، والممارسة الليتورجيَّة ونمط الحياة النُسكي الذي سلَّمه إلينا **آباؤنا القديسون** من جيل إلى جيل.

إنَّ الصيانة الدقيقة حتّى لأصغر التقاليد كانت الشرط للحفاظ المثالي على التقليد الأرثوذكسي لأكثر من ألف عام. لقد ساهم الرهبان الأثوسيُّون بشكلٍ كبير في الحفاظ على الإيمان الأرثوذكسي في كُلِّ اللحظات الصَّعبة في التاريخ حين كان يُهدَّد الإيمان، وما زالوا يقومون بذلك إلى اليوم. ولهذا **هم يتمتعون بهيبة خاصة وسلطة كبيرة**.

إنَّ الدور النبوي، كالسَّاهر والمنارة، الذي يلعبه **جبل أثوس** عادة في العالم الأرثوذكسي بإشارته إلى الانحرافات عن التقليد وتذكير الناس **بما هو الإيمان الحقيقي**، هو دور ذو أهميَّة خاصة في عصرنا الحالي، حيث يمكننا أنْ نلاحظ الوَهَنَ الكبير في الوعي العقائدي.

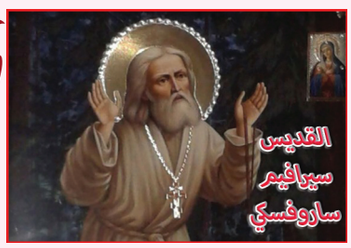
٦) النقطة السادسة والأخيرة، إنَّ **جبل أثوس** يساهم بطريقة أساسيَّة في الحفاظ على الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة في حالة ثابتة ونابضة بالحياة. هذه الروحانيَّة فصَّلها رهبان فلسطين وسوريا وسيناء والستوديون في القسطنطينيَّة، لكن **الآباء الأثوسيين** صاروا منذ القرن الثالث عشر الورثة الرئيسيِّين والحفظة لهذه الروحانيَّة. لقد صار **جبل أثوس** نموذجًا ذهبيًّا للنُسك والروحانيَّة، وجذب الكثير من الرهبان من كل البلدان. عند زيارتهم أو عودتهم لبلادهم يساهم هؤلاء الرهبان بشكل كبير في نشر هذه الروحانيَّة. لطالما كان **جبل أثوس**، بشكل خاص، مركزًا لممارسة **صلاة يسوع** والروحانيَّة الهدوئيَّة. ودومًا تجد هذه الممارسة مركزها في **جبل أثوس**.

إنَّ لدى **آباء جبل أثوس** مهمة إيصال هذا التقليد القديم إلى شعوب اليوم وعليهم مسؤوليَّة تسليمه إلى الأجيال القادمة. في هذا أيضًا يكمن دور الرهبنة الأثوسيَّة النبويّ والأخروي.

* ورقة مقدّمة في المؤتمر الدولي «الروس – الجبل المقدس أثوس: ألف سنة من الوحدة الروحية والثقافية» (موسكو، ٢١-٢٤ أيلول ٢٠١٦).

علينا أن نُصَلّي بلا انقطاع

† أخبروا عن شيخٍ أنَّهُ كان يذهب يوميًّا إلى الإسقيط لزيارة أحد الإخوة هناك، ولكن لم يَجِدهُ مرَّةً واحدة بطَّالًا بدون صلاة، استمرَّ على هذه الحالة مدَّة أربعة أشهر يذهب ويعود يوميًّا، وفي إحدى الأيام، ذهبَ إليه خفيةً ووقف خارجًا بقربِ الباب، فَسَمِعَهُ يصرخ ويقول: ربِّ، إذا كانت أُذُناي لا تَطِنَّانِ من جَرَّاءِ صُراخي الصاعِد إليكَ، فارحمني أنا الخاطئ، فإنِّي لَنْ أَكِلَّ عن التضرُّع إليكَ. فإذا جَعلْتَ أُذُنَيَّ يا ربُّ لا تَكِلَّان من صوتِ صُراخي المتواصِل إليك. إرحمني، لَنْ أَكِلَّ أنا أيضًا عن التضرُّعِ إليك.



† قال شيخٌ إنَّ الإنسان بحاجَةٍ إلى الخوفِ من دينونة الله العادلة، إلى مقت الخطيئة، إلى محبَّة الصلاة الدائمة إلى الله، بخوفٍ وتخشُّع واتِّضاع.

هل ما زال الآباء القديسين يلائمون هذه الأيام؟



على مدى السنوات القليلة الماضية كان هناك الكثير من الحديث عن **«التوليف النيو آبائي»**، **«اللاهوت ما بعد الآبائي»**، **«لاهوت الملائمة السياقيَّة»** وغيرها من الاجتهادات الطموحة **المختالة والمؤسفة**، التي يرنُو أصحابها إلى أنْ تنتشرَ، وأنْ تبدو أصيلة ومختلفة. كُلُّ هذه الأمور تخلق المفاجآت والألغاز والمنطق والفكر **المُنْحَرِفَيْنِ**. في ما يلي سنعمل على تقديم بعض هذه الأفكار بطريقة موجزة ومتواضعة، بعد أنْ نعيدَ تأكيد بعض المواقف الكنسيَّة المعروفة.

إقليمندوس المعلّم الإسكندري كان أول من تحدَّث عن «اللاهوت الصحيح» وعن «الفلسفة الحقيقيَّة واللاهوت الحقيقي». يشير يوسابيوس القيصري في عمله عن اللاهوت الكنسيّ إلى «جوقين سلَّما للبشرية لاهوت مخلصنا، الأول كان الأنبياء والثاني كان الرسل وتلاميذ الرَّبّ».

اللاهوتي الأول هو **يوحنا الإنجيلي**، والثاني هو **غريغوريوس النزينزي** والثالث هو **سمعان الحديث**. **القديس غريغوريوس اللاهوتي**، من خلال مواعظه الشهيرة، يؤلِّف نظام حقائق الإيمان المسيحي، يُعلن ثالوثية الألوهة، يصف الكائن الذي لا يُدنى منه والقِوَى غير المخلوقة، والتكامل بين الأقانيم الإلهية الثلاثة ومعرفتهم ... اللاهوت يعني الكلمة الدقيقة عن **الله**، حقيقة الإيمان، طريقة الاقتراب من **الله**، تأليه الإنسان، تكميل المؤمن بالنعمة والمشاركة، خبرة **الله** الحيّ، استعلان **الله** في حياتنا، وتجديد الإنسان الساقط وتحوُّله. هناك عدة طرق لمقاربة **الله** وكُلّ مؤمن يختار الأنسب. كُلُّ هذه الطرق، يميزها التواضع والمحبَّة.

اللاهوتيون الأوائل هم **الرُّسل**، من ثمّ المدافعون، آباء الكنيسة الكبار وجميع القديسين. اللاهوت المسيحي هو الفلسفة الحقيقيَّة التي تشمل العقائد الحقيقية عن **الله**. **أثناسيوس الكبير في الإسكندرية ويوحنا الذهبي الفم في أنطاكية والقسطنطينية** يقدِّمان لاهوتًا مباشرًا حصيفًا ورصينًا محوره **المسيح**. الآباء الكبادوكيون أكَّدوا بشكل أساسي على التمييز بين **الجوهر الإلهي** والقوة الإلهيَّة. ومن بعدهم **القديس يوحنا الدمشقي**، وفي وقت لاحق **القديس غريغوريوس بالاماس**، شكَّلَا خلاصة حقيقيَّة ومنهجيَّة **للرُّوح الآبائية بأكملها**. للاهوت النسكي وتيار الهدوئيِّين القديسين ممثلون رائعون من **ديونيسيوس الأريوباغي** إلى **سمعان اللاهوتي الحديث** وغيرهما ممن تبعوهما.

إنَّ الميل للعودة إلى الآباءِ الذي ساد في السنوات الأخيرة من خلال عمل الأب اللاهوتي العظيم جورج فلوروفسكي قد أثمر الكثير، وها نحن نتمتع به حتى يومنا هذا. بِنَأْيِهِ عن **اللاهوت الغربي القانوني والتقوي**، أكَّد اللاهوت الأرثوذكسي تجديد الإنسان وتحوُّله في **المسيح** من خلال معاينة **الله** والاشتراك فيه ضمن جسد الكنيسة عن طريق اليقظة والنُسك والصلاة والحياة الأسراريَّة، والتطهُّر والاستنارة والتقديس. تحوَّلت **المدرسيَّة الغربية إلى مُضجرة ومُملّة**. إنَّ الأفكار التَحرُّريَّة الجديدة المبتكرة عند بعض اللاهوتيين الشرقيين تطرح إشكالية. أصرّت البروتستانتيَّة على **«الإيمان وَحْدَهُ»**، وليس على عقائد الكنيسة ولاهوتها. يسمّي **القديس ذيوذوخوس فوتيكي** اللاهوت على أنّه السعي إلى **الله** والشَّركة معه، من خلال الدراسة والصلاة. **ثيوغنوسطوس**، يعتبر الحياة النقيَّة والفكر الواضح شرطين مسبقين للاهوت والمعاينة النقيَّة. إنَّ المعاينة تسمو على اللاهوت والمعاين يسمو على اللاهوتي. (المعاين الله).

إنَّ **آباء الكنيسة الكبار** هم لاهوتيُوها العظماء. هم المتوشحون **بالله**، العاملون بِوَحْيِهِ، المحرَّكون به، المستنيرون، الذين يقطعون كلمة الحق باستقامة في حياتهم وتعليمهم وأعمالهم. إنَّ نبرةَ ارتقائهم اللاهوتي هي على هذه الحال، ليس فقط بسبب دراسة الكتاب المقدس المستمرة، ولكن أيضًا بسبب تجاربهم، لأنَّ كلمة الكتاب المقدس صارت عربون قبول قلوبهم. يتميز جميع **آباء الكنيسة** بقداسة حياتهم وعقيدتهم الأرثوذكسيَّة.

هناك حاجة عظيمة للعودة إلى المصادر الآبائيَّة المقدسة، التي تُحيي ولا تَنْضُب دائمًا. الآباء الكبار ليسوا فقط القدماء منهم ولكن أيضًا اللاحقون الذين يتابعون على درب مَن لديهم خبرة أكبر من ماضي الكنيسة المفيد. اللاهوتيون المعاصرون بحاجة إلى أنْ يدرسوا أعمال آبائنا القديسين بأمانة. إنَّ **تشويه** التقليد المقدس أو **الجهل به، وإنشاء لاهوت جديد** يتجاوز الآباء، واعتبار أنَّ الزمن عفَا عليهم، بلُغةٍ من المألوف الثقافي والمصطلحات أكثر تعقيدًا، غير مفهومة في بعض الأحيان حتى لمستعمليها محدِثة لاهوتيًّا، معادية للنُسك، غير مبلورة ولا موثَّقة، سهلة، بهيجة وسعيدة جدًّا، ولكن أيضًا **ضحلة فاترة وروتينية**.

ما معنى «اللاهوت السياقي الصلة (*Theology of contextual relevance*)؟» أوَّلًا كلمة «السياقي» تعني علاقة الأمور ذات العناصر المشتركة وشبهها ووظيفتها وارتباطها. يبدو أنَّ هذا المصطلح **غامضٌ للغاية**. لقد ظهرَ في اجتماعات الحوار المسيحي كوحدة تسوية، كي لا ينكشف انقسام المسيحيِّين أمام أتباع الديانات الأخرى. وضع المسيحيُّون خلافاتهم العقائديَّة الأساسيَّة جانبًا وقدَّموا أنفسهم على أنهم أصدقاء وشركاء في الإحسان، والبيئة، والمسالمة و*agapetism*. لقد أعطوا الأفضليَّة للفكر المتعلّق بالعدالة الاجتماعيَّة والإنسانويَّة، وليس لحقائق الإنجيل المقدس العظيمة. في **الكنيسة الأرثوذكسيَّة الثابتة** لا نلتقي «الكنائس» المختلفة لأنَّ الكنيسة واحدة، مقدسة، ورسوليَّة. ليست الكنيسة مشروعًا مشتركًا أو رابطة أو نادٍ، بل هي الكنيسة التي تخلُّص، تفتدي، تقدِّس، تؤلِّه، وتكمِّل. ما لا يمكن تصوُّره ولا قبوله هو أنْ يُصار إلى تشويه المحتوى الفدائي العميق للإكليسيولوجيا الأرثوذكسيَّة (**علم اللاهوت وعلاقتها في يسوع ودورها في الخلاص**) على يد لاهوتيين أرثوذكس وخاصةً من الإكليريكيين.

إنَّ **آباء الكنيسة** لم يتقدَّموا في العمر، ولم يعفُ عليهم الزمن، ولا انتهت صلاحيتهم، أو تمَّ تمديدها. لاهوت ما بعد الآباء ليس موجودًا، بل هناك **اللاهوت مع الآباء**. ويستند الآباء إلى الكتاب المقدس ويحرّكهم **الرُوح القُدُس**. أنهم: «أواني الرُّوح»، «أبواق الله»، «الأفواه الكليّة التذهُّب»، «قيثارات الروح»، «ألواح النعمة»، و«أزهار الجنة». اللاهوت الأرثوذكسيّ من دون جهاد شخصي ونسك ويقظة (*νήψη*) واستنارة إلهيَّة لا وجود له، وعلى المنوال نفسه لا يوجد لاهوت من دون آباء متوشّحين **بالله**. إنَّ **الآباء القديسين ومعلمي المسكونة** لا يخالجهم الشوق لأنْ يكونوا مُبدعين، أو لأنْ يثيروا انطباع أحد أو لأن يقدِّموا شيئًا جديدًا من شأنه أنْ يمنحهم المجد. لقد كتب الآباء وتكلَّموا، عندما كانت حاجة الكنيسة كبيرة ولم تكن غايتهم تطوير نظريات شخصيَّة وآراء فلسفيَّة جديدة. إذْ غمرهم ضوء معاينة **الله**، وضعوا بتواضع الحقائق السامية، مفسِّرين إيَّاها بالاستنارة الإلهيَّة، والحقائق الخلاصيَّة التي كشفها **المسيح** نفسه للعالم.

لا ينتمي الآباء إلى ماضي الكنيسة بل إلى حاضرها. لا يمكننا الحديث عن قبل الآباء وبعدهم. الأمر قد يبدو كما لو أنَّنَا تَخَطَّيْنَاهُم، أو أنهم قدموا لنا ما كان ينبغي عليهم تقديمه، وأنَّهُ ما من حاجة من بعد إليهم، وأنَّنَا قادرون على المُضِيِّ قُدُمًا من دونهم، وأنَّنَا أيضًا آباء ولا ينقصنا أيّ شيء ... كُلُّ هذه الاعتبارات تذكِّر **بالآراء البروتستانتية** عن الكرامة والسلطة والتحرّر. لقد سار الآباء على خُطى **الرسل** وخطى **الرَّبّ**، والآباء الأصغر ساروا على خطى الآباء الذين سبقوهم. **التعشُّف هو بدعة** بالنسبة للأرثوذكسيَّة.

لقد قيل الكثير في المؤتمر اللاهوتي في حزيران من العام الماضي (المقال الأصلي نُشِر في ١٧ كانون الأول ٢٠١٠ في الأكاديمية اللاهوتيَّة في أبرشية ديميتريادس *Demetrias* المقدسة) حول موضوع « التأليف الآبائي الجديد، أو اللاهوت ما بعد الآبائي: إنَّ السعي إلى لاهوت سياقي الصلة في العقيدة» أمرٌ غير مقبول. هناك مَن يثير تساؤلات ضدَّ مساهمة الأب جورج فلوروفسكي «**حقيقة الأرثوذكسيَّة الفريدة**». وقد تمَّ اقتراح أنَّ الآباء ينتمون إلى الماضي، وأنَّ التقليد لا يأخذ قدره. لاهوتنا مُتَّهَم بأنه يحتوي على الأساطير، وأنَّهُ ليس أصليًّا، أنْ يتم تخطي الآباء وتُعاد صياغة العقائد... لا يمكن لأكاديميَّة لاهوتيَّة أرثوذكسِيَّة دعوة متحدثين يقدمون ما يتخيلونه وما يحلو لهم ...

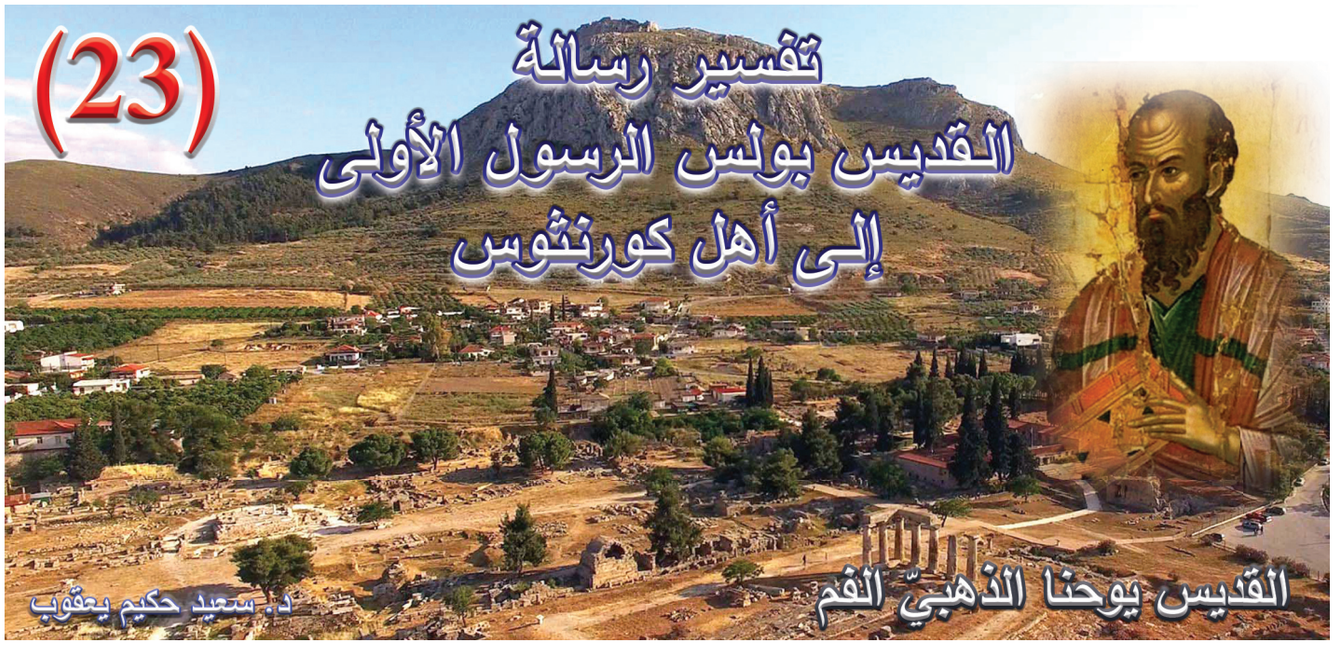
أليس النقد الذاتي حاجةً هنا بدلًا من توجيه الانتقادات للآباء؟ أليست دراسة الآباء بشكل أعمق أجدى من إهمالهم؟ إنَّ اللاهوت الذي ينفي من غير مقابل مساهمة الآباء **هو: بروتستاني بشكل واضح**. إنَّ لاهوتًا مُنْشَقًّا يخلق المشاكل بدلًا من حلِّها. ينبغي أنْ ينمو اللاهوت من دون معرفة متغطرسة ونكصات أصليَّة، وتفسيرات تعسفيَّة وأفكار متولِّدة، ولكن في جَوٍّ من التواضع والاتّزان، والزُّهد، وتقليد كنيستنا. إن كنيستنا تلد القديسين وتحفظ النفوس. نحن بحاجة إلى لاهوتيِّين قديسين. إنَّ اللاهوت الأرثوذكسي يصير رائعًا بنعمة **الرُوح القُدُس** المحيي وشفاعة القديسين، مُعَلِّمِي المسكونة الرائدين.

تعليق عن المسكونيَّة - للقديس پورفيريوس الرَّائي



هناك ديانة واحدة فقط، وهي الديانة المسيحِيَّة الأرثوذكسِيَّة. وهذه الرُّوح الأرثوذكسِيَّة هي الرُّوح الحقيقيَّة. الأرواح الأخرى هي أرواح الوهم والخيال والخطأ، وتعاليمها مُشوَّشة.

يجب علينا أنْ نفحص ونرى أين هي الحقيقة. والحقيقة هي في الأرثوذكسِيَّة. أنا قد عشتُ هذا الإيمان وَأَعْرِفُهُ بفضل نعمةِ اللهِ. وقد عشت بين أُناس مقدَّسين الذين انغمروا بروح هذا الحَقّ. هناك العديد من الأضواء التي يراها المرء وينبهر بها. ولكن واحدٌ هو النُّور الحقيقي. علينا أنْ نفكر في هذه.



تتمة من العدد السابق

الإصحاح الرابع

«هكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ (كلُّ انسان) كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ، وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ» (١كو٤: ١).

وبعدما جعلَ سلوكهم ينضبط، وافكارهم تتضع، لاحِظ كيف يسترجع الحديث مرَّة أُخرى، قائلًا: « كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ». إذًا لا تترك سيِّدَك، وتأخذ آسمك من الخدَّام والوكلاء. إنَّهُ يدعوهم وكلاء لكي يُظهر أنَّ هذا العمل لا ينبغي أنْ يتعهَّدَ به أحدٌ تُجاه الآخرين. بل يُعطي لأولئك المُستحقين أنْ يكونوا وكلاء.

«ثُمَّ يُسْأَلُ فِي الْوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإِنْسَانُ أَمِينًا.» (١كو٤: ٢).

أي ألَّا يسلب أو يغتصب سُلطة سيِّده، وألَّا ينتقم لنفسِهِ أو يُعاقِب لمجرَّد إشباع إحتياج شخصي، ولا يتعامل كَسَيِّد، بل يُدير الأمور كَمُدَبِّر أو كوكيل عن سيِّده. وعمل الوكيل هو أنْ يدبِّر ويُدير بشكلٍ جيِّد وَحَسَنٍ كلَّ ما استُؤمِنَ عليه، ولا ينبغي أنْ يقولَ عن ما هو مِلكٌ لِسَيِّدِهِ، أَنَّهُ مِلكٌ له، بل العكس أنَّ كُلَّ ما هو خاص به، هو مِلكٌ لسيِّده.

فليضع كلُّ واحدٍ هذه الأمور في اعتباره، مَنْ له موهبة الكلمة، ومن يمتلك ثروة، أي ذاك الذي استؤمن على أشياء مملوكة لسيِّده وليست له، بل يجب أنْ يعتبرها أنَّها مُلكٌ لله، الذي يُعطي كلَّ شيء. أتريد أنْ ترى مؤمنين وكلاء (مُدبرين)؟ إسمع ماذا يقول القديس بطرس: «مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا؟ وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي؟» (أع ٣: ١٢)، وقال لكُرنيليوس أيضًا: «قُمْ، أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ» (أع ١٠: ٢٦) و «نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ» (أع ١٤: ١٥)، وقال للمسيح: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» (مت ١٩: ٢٧). بل إنَّ الرسول بولس بعدما قال إنَّهُ تَعِبَ أكثر من جميعهم، قال: « وَلكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا» (١كو ١٥: ١٠). وفي موضعٍ آخر يتوَجَّه نحو هؤلاء أنفسهم قائلًا: «وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟» (١كو ٤: ٧). أي أنَّه لا شيء على الإطلاق في هذه الحياة هو مِلكٌ لكَ، لا مال، ولا كلمة، ولا نفسك ذاتها هي مِلكٌ لكَ، لأنَّها بالحقِّ هي مِلكٌ لسَيِّدِكَ.

٣ – إذًا عندما تتطلَّب الضرورة أنْ تُضَحِّي بها، فَلْتُضَحِّ بها. فإنْ طُلِبَ مِنْكَ أنْ تُقَدِّم ذاتك ذبيحة ولم تَمتَثِل، فأنْتَ لستَ وكيلًا أمينًا. وكيف للمرءِ أنْ يُقاوم دعوة الله؟ هذا تحديدًا ما يجعلني دومًا أطرح نفسَ السؤال، ولهذا أيضًا أبقى مُنذَهِلًا من محبَّة الله الفائقة نحو البَشَر، لأنَّ تلك الأشياء التي مِنَ الممكن أنْ يأخذَها منك دون إرادتك، لا يُريدُ أنْ يَأخُذَها بدون إرادتك، لكي تنال عنها المجازاة، فعلى سبيل المثال يستطيع أنْ يأخذ حياتك دون إرادتك، ولكنه يُريدك أنْ تُقدمها بإرادتك، لكي تقول كما قال بولس الرسول: «أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ.» (١كو ١٥: ٣١). يستطيع دون أنْ ينزع عنكَ المجد والجاه والسُلطان ويجعلك في وضعٍ مُتَدَنٍ، إلَّا أنَّهُ يُريدك أنْ تتضع بإرادتك، لكي تنال المكافأة. ويمكن أنْ يجعلك فقيرًا دون إرادتك، لكنه يُريدك أنْ تُصبح مُتَجَرِّدًا بإرادتك، لكي يَهَبَكَ الأكاليل.

أرأيت محبَّة الله الفائقة نحو البشر؟ أرأيت مدى خمولنا؟ هل فزتَ برتبة عظيمة، وَنِلتَ سُلطَةً كَنَسِيَّة؟ إذا حدث هذا فلا تفتخر وتتباهَ. أنتَ لم تربح المجد، بل الله هو الذي أعطاكَ إيَّاهُ. فَلْتُقبِل على المنصب وهذه السُلطة التي حصلتَ عليها بحكمة وتَعَقُّل، باعتبارها غريبة عنكَ، ولا تُسِئ استخدامها ولا تستخدمها في أعمال غير لائقة ولا تفتخر بها ولا تغتصبها من أحد، بل يجب أنْ تعتبر نفسك فقيرًا ومتواضع الحال. لأنَّه إنْ حدث وعهدوا إليك بحراسة الثوب الملكي الأرجواني، فإنَّهُ لا ينبغي أنْ ينبغي أنْ تجعلَهُ خاصًا بِكَ، وتُسيء استخدامه، بل تحفظه بحرصٍ شديد لذاك الذي أعطاه لكَ لِحِفْظِهِ.

هل نِلتَ موهبة البلاغة في الكلام؟ فلا تفتخر ولا تَزْهُ بهذا، لأنَّ هذه الموهبة هي ليست لكَ. لا تَكُن ناكرًا لعطايا سَيِّدك، بل تقاسمها مع شركائك في العبوديَّة، ولا تَغتَر بهذه الأمور كأنَّها مِلكٌ لَكَ، ولا تأسَف

لتقاسمها مع الغير. وإنْ كان لديكَ أولادٌ، **فالله** هو الذي أعطاكَ إيَّاهم، فإنْ فكَّرتَ بهذه الطريقة، فيجب أنْ تشكر **الله** وتدين له بالمعروف عندما يكون لكَ هذه العطيَّة، وإنْ أخذوها منكَ فلا تحزن. هكذا كان **أيوب** الذي قال: «الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ» (ايوب ١: ٢١). بمعنى أنَّ كُلَّ ما لنا **للمسيح**، بل إنَّ وجودنا ذاته هو **من المسيح**. فحياتنا، والهواء الذي نتنسَّمُه والنُّور والأرض، كُلُّ هذا هو عطيَّة **المسيح** الذي خلقها جميعًا، فلو أرادَ أنْ ينزع منَّا شيئًا من هذه الأشياء، فإنَّنا سنهلك لا محالة، وهذا يعني أنَّنا غُرباء ونُزلاء. نقول إنَّ هذا مِلكٌ لي، وهذا مِلكٌ لكَ، ولكن هذه ليست إلَّا مجرَّد كلمات بسيطة فقط، لكنها لا تعكس الحقيقة. لأنَّه حقًّا، إنْ قلتَ إنَّ هذا المنزل هو مِلكٌ لكَ، فهي كلمات لا تحمل معاني حقيقيَّة، لأنَّ الهواء والطين ومواد البناء، هي صُنع الخالق، بل أيضًا أنتَ ذاتك الذي تقوم بالبناء، مَنْ صُنع الخالق. فإنْ كان استخدام (المنزل) هو لكَ، إلَّا أنَّ هذا الاستخدام أيضًا هو أمرٌ غير مؤكَّد، ليس فقط بسبب الموت، بل وقبل الموت أيضًا، بسبب تَغيُّر هذه الأشياء وعَدَم ثباتها.

إذًا فلنكتُب ونَحْفُر هذه الأمور في داخلنا باستمرار ولنُقدمها بحكمة، وعندئذٍ سنربح الأمرين الهامَّيْن (أنْ نكون وكلاء **سرائر الله**، ونكون أُمناء في هذه الوكالة). وهكذا سنكون حافظين للإحسان وممتنِّين **لله**. سواء كان لدينا ما نملكه، أو كُنَّا محرومين من أيَّةِ ممتلكات، وبالأكثر لَنْ نصيرَ عبيدًا لأمورٍ زائلة وغريبة. أي حتى وإن أخذَ **الله** أموالك، فإنَّه يأخذ أمواله هو (فهو الذي أعطاكَ هذا المال)، وإنْ أخذَ كرامتك ومجدك، وحتى وإنْ أخذَ جسدك، وإنْ أخذَ حياتك ذاتها، وإنْ أخذَ أبنك، فإنَّه لا يأخذ أبنك انتَ، بل يأخذ **عَبْدَهُ هو**، لأنَّكَ لستَ أنتَ الذي خلقتَهُ، بل **الله** هو الذي خَلَقَهُ، أنتَ فقط خادم لابنك الذي أوجده **الله** في هذه الحياة. كُلُّ شيء في الوجود هو من **صُنع الله**. إذًا لِنَكُن مُمتنِّين له، لأنَّهُ جعلنا مستحقين لخدمة عمله. لكن هل تُريد أنْ تمتلك كُلَّ شيء؟ لكن هذا يُظهر أنَّكَ **جاحد**، ولا تعرف أنَّهُ، وإنْ كان لديك شيءٌ، فهو غريبٌ عنكَ، وليسَ مِلكًا لَكَ. تمامًا، كما أنَّ أولئك الذين لديهم استعدادًا للرحيل، يعرفون أنَّهم لا يمتلكون أيَّ شيء، هكذا الذين يتألَّمون مُغتصبين أشياء تتعلَّق بالمُلك. بمعنى أنَّه مادمنا نحن لا نستطيع أنْ نسود على أنفسنا، فكيف يمكن لأولئك (الأبناء)، أنْ ينتسبوا لنا؟ فنحنُ مِلكٌ **لله**. لسببين: لأنَّه و الذي خلقنا، وأيضًا بسبب **إيماننا بالله**.

لهذا يقول **داود النبي**: «وَقِوَامِي مِنْ قِبَلِكَ هُوَ.» (مز ٣٨: ٧)، وأيضًا يقول **بولُس الرسول**: «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ.» (أع ١٧: ٢٨)، أيضًا هو يتكلَّم عن الإيمان يقول: «وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ.» (١كور ٦: ١٩-٢٠). أي أنَّ كُلَّ شيءٍ في الحياةِ هو مِلكٌ **لله**.

إذًا عندما يَدعو ويُريد أنْ يأخذَ، فيجب أَلَّا نُرهق أذهاننا، كما يفعل العبيد الجاحدين، ولا أنْ نسلب كُلَّ ما هو متعلِّق **بالسيِّد**. إنَّ نفسكَ ليست مِلكًا لكَ، وبناءً على ذلك كيف لا تكُون أموالك مِلكًا له؟ كيف تُنفِق أم تستهلك ما هو ليسَ مِلكًا لكَ، لتحقيق أهداف غير نافعة؟ ألَا تعرف أنَّهُ لِأَجلِ هذا سَنُدان، طالما أنَّنَا قد استخدمناها بشكلٍ سيء؟ ولأنَّ هذه الأموال ليست لنا، بل هي **للرَّبِّ**، لذلك يجب أنْ نُنفِقها على شُركائنا في العبوديَّة. وكما هو معروفٌ فإنَّ الغنيّ (في مثل الغني ولعازر) أُدِينَ بسَبَبِ إنَّهُ لم يصنع رحمة تُجاه الفقير، أيضًا مثل أولئك الذين لم **يطعموا الرَّبّ**. «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي.» (مت ٢٥: ٣٥). إذًا لا تَقُل إنَّني أنفق ممَّا لي، وأتمتَّع بما لي. أنتَ لا تُنفِق ممَّا لكَ، بل مِمَّا هو ليس لك، وأقول إنَّها غريبة عنك، لأنَّكَ أنتَ ترغب فيها. لأنَّ **الله** يُريد منكَ أنْ تجعل ما استأمنك عليه لأجلِ فائدة إخوتك. فما هو ليسَ لكَ، يصيرُ مِلكًا لكَ، لن يُصبح لَكَ، إنْ أنفقته لحسابِ الآخرين، ولكن إنْ بَذَّرتَهُ لأجلِ نفسِكَ، فإنَّ ما هو مِلكٌ لكَ، لنْ يُصبح لَكَ، ولأنَّكَ استخدمتَ هذه الأموال بشكلٍ سَيِّء، وقلتَ إنَّهُ من العدل أنْ أُنفق أموالي لأجلِ مُتعتي أنا فقط، فإنَّهُ لأجلِ هذه أقول إنَّها غريبة عنك، وهي ليست لَك. لأنَّهُ ما هو لكَ ولِشُركائك في العبوديَّة، هو مشترك بينكم، تمامًا كما أنَّ الشمس والهواء والأرض وغير ذلك، هي عامَّة ومُشتركة للجميع. وكما يحدث مع الجسد الذي في مجموعه هو كُلٍ متكامل، وأنَّ كُلَّ عضوٍ من أعضائه يخدم الآخر بشكلٍ منفصل، بينما إذا حدث وعَمِلَ عضوٌ واحد فقط لحساب نفسِهِ، فإنَّه في النهايةِ يفقد حيويَّته، هكذا يحدث بالنسبةِ للمال.

ولكي أوَضِّح الأمر أكثر أقول: لو أنَّ الطعام الذي أُعطِيَ لكلِّ الأعضاء، اقتَصَرَ على عُضوٍ واحد فقط، فلن يكون فيما بعد خاصًا بذلك العضو. بمعنى أنَّه، إنْ لَمْ يكُن ممكنًا أنْ يُغذِّي جميع الأعضاء، فإنَّه سيصبح طعامًا غريبًا على ذلك العضو أيضًا. ولكن إنْ أصبَحَ طعامًا مُشتركًا لكُلِّ الأعضاءِ، سيُعتبر طعامًا خاص بذلك العضو، وبكلِّ الأعضاء أيضًا. هكذا يحدث مع الأموال، فإذا تمتَّعتَ بها أنتَ وحدَكَ فقط، فإنَّكَ ستفقدها، لأنَّكَ لن تَجني ثمار استثمار هذه الأموال. ولكن إنْ امتلكتها عن طريق فتح شراكة مع الآخرين، فحينئذٍ ستتضاعَف قيمتها وستحصل على أرباح كثيرة. ألَا ترى أنَّ الأيدي هي التي تُقَدِّم الطعام، والفم يمضغه ليجعله لَيِّنًا، والمعدة تستقبله؟ وهل تقول المعدة، لأنَّني أنا التي استقبله، فيجب أنْ أستحوذ عليه بالكامل؟

(يتبع في العدد القادم)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122